شرح روضات الجنات

باقحصاری

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله قديم الذات والصفات عديم المثل والنظير من الممكنات
والصلوة على رسوله المؤيد بالمعجزات محمد الداعي بالايمان الى
روضات الجنات وعلى اله وصحبه الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وبعد فان افقر الخلق الى الخالق الباري العبد الاحقر كافي الاقحصاري
حفه الله برداء رضاه ورضي عنه وارضاه يقول لا يخفى على كل ذي
فهم وبصر ان اول ما يجب على عقلاء البشر هو معرفة الله تعالى
بالاستدلال والنظر ثم الاهتداء الى الخير والانتهاء عن الشر وذلك
لا يتأتى الا بالايمان بالله وصفاته بعقايد صحيحة عن سقام الاوهام
وتنزيه ذاته عن صفات مخلوقاته بقواعد رضية بالتوفيق والالهام
ولما ساعدتني العنايات الربانية وعاضدتني التوفيقات السبحانية
بتأليف مختصر في الاعتقادات مسمى بروضات الجنات
وشرفني ربي بالقبول من قبل العلماء الثقات والفضلاء السا دات
اسعدهم الله باسعد السعادات وجب على شكره فصرت ادير في
نفسي واستخير الله يومي وامسي ان اكتب له شرحا شكرا لله
وطلبا لرضاه ثم استشعاف بعض الاحبة واقتراح الطلبة الالبة

بما خطر في نفسي في اثناء درسي قد هيجني الى الشروع بخلوص الروع
مقرا بقلة البضاعة والقصور في الصناعة مع كثرة الاشتغال
بمخالطة العوام وتشتت البال بمخاطبة غير اهل الاسلام ابتلاء
بالقضاء سيما في ايام الفترة والوباء واثارة الفتنة وانواع البلاء
فبعد ما اختلست فرصا من بين وفور العلايق ونهزا من كرور
العوايق شرعت فيه بعون الله الخالق ناويا ان اجمع فيه صفوة
ما اختاره كبار المجتهدين من اشراف ائمة الدين قاصدا ان
فيه خلاصة ما آثره خيار المتكلمين من اسلاف اهل اليقين
فشرحته باوضح العبارات واملح الاشارات شرحا بسيطا
لم يصل المنشود وفسرته فسرا وسيطا لم يخل المقصود
مقصورا على محض الفوايد محذوفا عنه ما هو كالزوايد يحتوي
على تفتيح الابواب كنوزه وينطوي على توضيح صعاب رموزه
يتضمن كشف ما فيه من غوامض الاسرار وتبيين ما فيه من
اللطايف التي وراء الاستار سالكا في التحرير مسلك الوسط
ماسكا في التقرير عن الوكس والشطط معرضا عن التعرض
لتقرير اقوال المخالفين الا قليلا مكتفيا بالاشارة الى الرد
على المعارضين لئلا يكون طويلا مملا فجاء بحمد الله الملك الوهاب
كما يحبه الاحباب ويرتضيه اولو الالباب وان عابه من نظر
فيه بعين العاب بل كان بحيث يؤتى العيون الصحيحة قرة

والنفوس الزكية مسرة وكادا اليه تشد الرحال ويتنافس فيه فحول
الرجال والله تعالى اسئال بلسان التضرع والابتهال وخناء
الذلل والابتذال ان يسحب على فضولى ذيول العفو والافضال
ثم ان يعذرنى فى سهوى من هو الناظر الراسى اذ اول الناس
فى ذلك اول الناسى وقد صح ان الصفح عما فى صحايف الصغار
من مكارم اخلاق الكرام الكبار ثم المرجو من خلص الخلان واخلص
الاخوان الدعاء الصالح والثناء الفايح فى ايمن الاحيان فانه
فاتنى من الناس الثناء الجميل فى العاجل فحسبى ما ارجوه من
رضاء الجليل فى الاجل ولما تم بدره ولاح ونجم زهره وفاح
ونادى داعيه بالفلاح سميته بازهار الروضات فى شرح
روضات الجنات والله سميع الدعاء والمناجات ومتيسر
المرادات والحاجات قال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد وهو
الثناء باللسان على الجميل الاختيارى بقصد التعظيم من
انعام او غيره هذا فى الاصطلاح اما فى اللغة فهو المدح وهو
الوصف بالجميل مطلقا فيندفع ما قيل ان المحمود لا يلزم
ان يكون فاعلا لما حمد به فضلا عن ان يكون مختارا بدليل
قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا والشكر
هو الثناء بالقول او الفعل او الاعتقاد فى مقابلة النعمة
وانما اختار الحمد لانه يشعر بانه تعالى مختار فى فعله لا موجب

بذاته واما الحمد على وحدانيته ونحوها فلانها مبداء الافعال
الاختيارية بخلاف الشكر فانه يؤذن بان الله تعالى يستحقه
بسبب انعامه وتعريفه للاستغراق اذ الحمد كله لله وهو علم
للذات المستجمع لجميع الصفات فى الاصح فهو اشرف اسماء
المعبود بالحق واعظمها فذكره اشرف الاذكار وافضلها
فاضافة الحمد اليه كاضافته الى جميع اسمائه وتقديمه لمزيد الاهتمام
باعتبار المقام والاخبار لكونه حقاله عين الحمد الذى هدانا
الهداية الدلالة بلطف ولذا يستعمل فى الخير واما نحو قوله تعالى
فاهدوهم الى صراط الجحيم فتهكم واستهزاء كقوله فبشرهم بعذاب اليم وهداية الله
تتنوع انواعا لا تعد ولا تحصى والمراد ههنا صرف اذهاننا وقلوبنا
بفضله وكرمه الى تحصيل العلم والايمان وهى تتعدى بنفسها نحو اهدنا
الصراط المستقيم وبالى نحو فاهدوهم الى صراط الجحيم وباللام نحو هدانا
لهذا وعليه قوله للعلم وفى تحديده اقوال اولاها اصحه واخفها مؤنة
واقطعها لشغب الخصوم قولنا العلم صفة ينتفى بها عن الحى الجهل
والشك والظن والسهو ويطلق فى المشهور على عدة معان
احدها مطلق الادراك الذى يعم التصور والتصديق مطلقا
كان التصديق او مقيدا بكونه يقينيا وثانيها مطلق التصديق
الذى يتناول اليقينى وغيره من الاحكام وثالثها التصديق اليقينى
الذى هو عبارة عن الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع

والايمان سيأتى فى الكتاب تحقيقه ونهانا عن الكفر هو فى اللغة
الستر والمراد به ههنا ضد الايمان وهو التكذيب و الانكار
والعصيان وهو الخروج عن طاعة الله بعدم الامتثال لاوامره
ونواهيه والعمل بخلاف مرضاته والصلوة هى فى اللغة من المؤمنين
الدعاء ومن الملايكة الاستغفار ومن الله تعالى الرحمة وفى الشرع
اركان معلومة وافعال مخصوصة فى اوقات مقدرة وفى الاصطلاح
هى زيادة التعظيم لرسول الله وهو المراد ههنا على نبيه النبيه
اى الشريف المشتهر من نبه بالضم اى شرف واشتهر بنباهته فهو
نبيه ونابه وهو ضد الخامل ووجيه الوجيه هو من فيه خصال
حميدة من شانه ان يعرف ولا ينكر محمد المبعوث بخير الاديان
وهو الاسلام والدين وضع الهى يدعو اصحاب العقول الى قبول
ما هو عند الرسول ماخوذ من دانه اى اطاعه فهو اسم واقع على
الايمان والاسلام والشرايع كلها وعلى اله السابقين باحسان
هو لغة فعل ما ينبغى ان يفعل من الخير وفى الشريعة ان تعبد الله
كانك تراه وان لم تكن تراه فانه يراك واصحابه التابعين له
فى جميع الاحكام والاحوال باذعان اى بانقياد وقبول وبعد
فلما كان الايمان اول ما يجب على الانسان لقوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون ولا عبرة للعبادة بدونه اذ هو شرطها
فيجب اولا واخر ما يطلب ويعتبر عند نزع الارواح من الابدان

وبعد

اى

اى عند الخاتمة فان العبرة بها بل هو اى الايمان الغرض الاصلى
اى الغاية والثمرة من فيض الوجود اى وجود الانسان والفيض
هو صدور شئ عن غيره على سبيل اللزوم لا الارادة تابعة لغرض من
الاغراض وهو لا يكون الا من الله تعالى والمقصود الاقصى من
اخذ الميثاق المعهود فى الازل بقوله الست بربكم ولا يحصل
اى الايمان الا بعد العلم الجازم بواجب الوجود اى بوجوده
تعالى ولا يكمل اى الايمان لا يكون كاملا الا باثبات صفات فائض
الجود اى باثبات صفات الكمال لله تعالى كالحياة والعلم والقدرة
والارادة والسمع والبصر والكلام والقدم والبقاء والتكوين ونحوها
مما وصف به نفسه فى كتابه وجب جوابا لما على كل عاقل اى قادر
على تصرف قوته العاقلة صرف الوجد اى صرف القلب والجوارح
الى كسبه فيه اشارة الى ان الايمان مكتسب فانه وان كان من الكيفيات
النفسانية لانه من اقسام العلم فانا اذا تصورنا النسبة بين الشيئين
وشككنا فى انها بالاثبات او بالنفى ثم اقيم البرهان على ثبوتها فالذى
يحصل لنا هو الاذعان والقبول لتلك النسبة وهو معنى التصديق
والحكم والاثبات والايقاع لكن تحصيل تلك النسبة انما يكون بالاختيار
فى مباشرة الاسباب وصرف النظر ورفع الموانع ونحو ذلك فيكون
كسبيا اختياريا وبهذا الاعتبار يقع التكليف به ومن هذا يقال انه
مخلوق لان العبد بجميع افعاله مخلوق لانه مامور به والامر انما يكون

بما هو داخل تحت قدرته وما كان كذلك كان مخلوقا فلا يجوز ان يكون
الايمان اسما للهداية والتوفيق وان كان لا يوجد الا بهما كما زعم من
قال انه غير مخلوق كذا في شرح وصايا اي تعلم اجماله وتفصيله اي تعلم
ما يجب من الايمان اجمالا وتفصيلا على قدر الطاقة البشرية وانما وجب
تحصيل الايمان بالنظر والاستدلال ليتخلص المؤمن من عقد التقليد
العقد بضم العين وفتح القاف جمع العقدة بالضم وهو موضع العقد
وهو ما عقد عليه والتقليد قبول كلام الغير من غير حجة في عقايد التوحيد
العقايد جمع عقيدة بمعنى الاعتقاد وهو عقد القلب على الشيء
واثباته في نفسه فان ايمان المقلد وان كان صحيحا عندنا كما يجيء
لكنه يكون مؤمنا عاصيا بترك النظر والاستدلال في معرفة الله
واذا كان الايمان اول الواجبات فالايمان رئيس الاعتقادات
الدينية ورأسها والعلم الكامل اي التام من بتحقيقه اي بتحقيق
الايمان اجمالا وتفصيلا هو اصل العلوم اليقينية واساسها وهو
اي ذلك العلم الكامل علم التوحيد والصفات التوحيد في اللغة الحكم
بان الشيء واحد والعلم بانه واحد وفي اصطلاح الموسوم بالكلام وهو
وهو علم يبحث فيه عن ذات الله وصفاته واحوال الممكنات من المبدا
والمعاد على قانون الاسلام والمراد به كلام فقهاء الملة الحنفية الصفية
ورؤساء العلماء من ورثة النبوة المصطفوية كالامام ابي حنيفة نعمان
بن ثابت الكوفي وابي يوسف يعقوب بن ابرهيم الانصاري

وابي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني ومن تبعهم من المجتهدين
في اصول الدين وهذا هو الكلام المقبول والممدوح بين اهل الحق
من العلماء الاعلام بخلاف كلام المتفلسفة الضالة والمتصوفة
الغالية المفضي الى الزندقة وهو الكلام المذموم والمقدوح بين
فضلاء العلوم وقد وجدت فيه اي في علم التوحيد احسن المصنفات
واخصر المؤلفات الفقه الاكبر هو تصنيف لامامنا الاعظم وهو امام
المجتهدين ورئيس العلماء المتقنين ابو حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي
كما مر ثم عقايد الطحاوي المسمى ببيان السنة والجماعة وهو
تصنيف معروف للامام ابي جعفر احمد بن محمد بن سلامة الازدي
الطحاوي انتهت اليه رياسة اصحاب ابي حنيفة وكان شافعيا
ثم انتقل الى مذهب ابي حنيفة وبلغ الغاية وصنف الكتب
ولد سنة احدى وثلثين وقيل عشرين ومائتين ومات سنة
احدى وعشرين وثلثمائة ازد قبيلة وطحا قرية من قرى مصر ومصر
بلدة معروفة بناها مصر بن حام بن نوح ثم وعقايد عمر النسفي
مختصر مبارك مشهور صنفه الامام ابو حفص عمر بن محمد بن احمد
النسفي صاحب المنظومة في الفقه وهو احد مشايخ صاحب الهداية
توفي سنة سبع وثلثين وخمسمائة بسمرقند وولادته بنسف
وعقايد الشيخ الفقيه الولي الصالح ابي عبد الله محمد بن يوسف
السنوسي الحسيني من الائمة المالكية وعقايد نقاية جلال الدين

السيوطي من الائمة الشافعية عليهم رحمة ربهم الغني فانها اي تلك المؤلفات
من المختصرات مع ما فيها من حسن التنظيم والتركيب وهو جعل
الاشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد وصباحة الترتيب الصباحة
الجمال والحسن والترتيب هو جعل الاشياء المتعددة بحيث يطلق
عليها اسم الواحد ويكون لبعض اجزائه نسبة الى البعض بالتقدم والتأخر
فهو اخص من التركيب والتأليف وغاية من التنقيح هو اختصار اللفظ
مع وضوح المعنى ونهاية التهذيب اى التنقية والتطهير مشتملة على غرر
الفوايد الغرة البياض الكاين في جبهة الفرس جمعه غرر والفوايد الدرر
اذا انظم وفصل بغيره وقيل فرايد الدر كبارها من اصول الدين الاصل
ما يبتني عليه غيره من حيث يبتني عليه ودرر الفوايد جمع فائدة من قواعد
جمع قاعدة وهي حكم كلي ينطبق على جزئياته ليستفاد احكامها منه
عقايد اليقين هو في اللغة العلم الذي لا شك معه وفي الاصطلاح اعتقاد
الشئ بانه كذا مع اعتقاد انه لا يمكن الا كذا مطابقا للواقع غير ممكن
الزوال فالقيد الاول جنس يشتمل الظن ايضا والثاني يخرج الظن
والثالث يخرج الجهل المركب والرابع يخرج اعتقاد المقلد المصيب
وعند اهل الحق اليقين روية العيان بقوة الايمان لا بالحجة والبرهان
وقيل مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب وملاحظة الاسرار بمحافظة
الافكار بحيث يستوجب ويستدعي ان تحرر وتزين تلك المؤلفات
الشريفة على صفحتي الشمس والقمر كناية عن كمال المقبولية لكنها لخلوها عن

ايراد

ايراد الادلة في التمهيد اى بسط القواعد لا تكتفي للتفصي والتخلص
عن التقليد مع انه لازم مهتم كما مر فكنت ادبر والاحظ كناية عن
النية اى كنت انوي في نفسي وخلدي اى روحي وقلبي واستخير الله
اى وكنت اطلب الخير بالادعية المأثورة فيما نويته في كدي وملدي
الكد الشدة والالحاح في الطلب والملد بالتحريك النعمة ان استخرج
من هذه الاصول المذكورة لهؤلاء الفحول مختصرا رصينا اى محكما
من غير ايراد اسولة المعارضين مشتملا على عقايل المعقول العقايل
جمع عقيلة وهي الدرة وعقيلة كل شئ اكرمه واشرفه ومتنا متينا
اى قويا متضمنا لنخب المنقول النخبة بالضم هي مختار الشئ يقال جاء
في نخب اصحابه اى في خيارهم من اماثل الادلة اى خيارها واصايل
الاصول اى محكماتها من غير ايراد اسولة المعارضين اى من اهل
البدع والاهواء والفرق الضالة وادلة المخالفين لاهل السنة
والجماعة فرتبته على ما اى ترتيب وقع في جواب سيد المرسلين
محمد خاتم النبيين حين سأله جبريل الامين كما رواه بن عمر رضه
بقوله بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس من
الصحابة اذا اقبل شاب حسن اللمة طيب الريح عليه ثياب بيض
نحسبه من رجال البادية فقال السلام عليك يا رسول الله والسلام
عليكم فرد النبي ورددنا ثم قال أأدنو يا رسول الله قال ادنه فدنا دنوة
او دنوتين ثم قال موقرا فقال ادنو يا رسول الله فقال ادنه فدنا حتى

جلس فالصق ركبتيه بركبة رسول الله ثم قال اخبرني عن الايمان
ماهو قال اى النبي عليه الصلوة والسلام ان تؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث بعد الموت في رواية والقدر
خيره وشره من الله تعالى قال صدقت فتعجبنا لقوله صدقت كانه اعلم
ثم قال فاخبرني عن شرايع الاسلام ما هي قال اقام الصلوة وايتاء
الزكوة وصوم رمضان والاغتسال من الجنابة قال صدقت فتعجبنا
لقوله صدقت كانه اعلم به ثم قال اخبرني عن الاحسان ما هو قال
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت
كانه يعلم به قال فاخبرني عن قيام الساعة متى هي قال
ما المسئول عنها باعلم من السائل قال صدقت قال ابن عمر فتعجبنا
لقوله صدقت فانصرف ونحن نراه فقال عم على بالرجل فخرجنا
في اثره فما ندري اين توجه ولا رأينا شيئا فذكرنا ذلك للنبي عم
فقال هذا جبرائيل اتاكم يعلمكم معالم دينكم ما اتاني في صورة قط
الا انا اعرفه فيها قبل هذه الصورة فهذا حديث صحيح مشهور قبله
الحفاظ وعلماء الاصول وقد تضمن المسائل الاعتقادية واصول
شرايع الاسلام وفيه دلالة من دلايل الرسالة وهي ظهور جبرائيل الامين
في صورة رجل من اهل البادية سائلا عن معالم الدين ثم غاب
عنهم وهم ينظرون وكون السائل جبرا الامين والمفتي رسول رب
العالمين وفيه ان الايمان بالقدر من معالم الدين وفيه ان الايمان

هو

هو التصديق وان العمل شرايعه وفي رواية احمد بن حنبل في مسنده
ان السائل قال فاذا فعلت هذا فانا مؤمن قال عم نعم ولم يقل
ان شاء الله ولا يخفى ما في الحديث من احسن ما يترتب عليه كتاب اصول
الدين فهذه اى المذكورات في الحديث سبعة اصول الاول الايمان
بالله والثاني الايمان بالملائكة والثالث الايمان بالكتب والرابع الايمان
بالرسل والخامس الايمان باليوم الآخر والسادس الايمان بالبعث
والسابع الايمان بالقدر ولما ذكر الايمان اولا وجب بيان حقيقته واصله
ابتداء ولذا قال وبعد ما صدرتها اى الاصول السبعة ببيان حقيقة
الايمان واصله على مذهب نعمان صارت جملتها ثمانية فصول فا
فاتفقت على عدد ابواب الجنات فسميته اى المختصر المشتمل عليها
بروضات الجنات في اصول الاعتقادات في علم التوحيد والصفات
تسمية السبب باسم المسبب والله تعالى اسأل تقديم المفعول
للتخصيص اى تخصص بالسؤال والدعاء ان يجعل التوفيق رفيقي
في كل الامور سيما في بيان اصول الدين ويسهل على تاليفي وتحقيقي
على الحق الصريح والقول الصحيح فانه اى الله تعالى مجيب الدعوات
وقاضي الحاجات كما سيأتي تحقيقه في محله ان شاء الله تعالى **الروضة
الاولى** من الروضات الثمان في بيان حقيقة الايمان واصله
حقيقة الشيء ما به الشيء هو هو وهي في الاصل فعيل بمعنى فاعل من
حق الشيء يحق بالكسر اذا ثبت او بمعنى مفعول من حققت الشيء

اذا ابتنه يحتج بالضم ثم نقل الى المعنى الثابت او المثبت فى مكانه الاصلى
والتاء فيها للنقل من الوصفية الى الاسمية لا للتانيث على مذهب امامنا
ابى حنيفة نعمان بن ثابت رحمة الله **اعلم** تنبيه بان ما نذكر فى هذه الروضة
مما يجب ان يعلم ويحفظ فانه بحث شريف بين المجتهدين والزام
لطيف للمخالفين ورد عظيم على بعض الضالين ان الايمان افعال
من الامن كان حقيقة امن به امنه من التكذيب والمخالفة ويتعدى
بالباء باعتبار معنى الاعتراف كما فى قوله عم ان تؤمن بالله الحديث
واللام باعتبار معنى الاذعان كما فى قوله تع حكاية وما انت بمؤمن لنا
اى بمصدق لا من الايمان بمعنى ادخال النفس فى الامان كما زعمه
المعتزلة لانه يلزم ان يكون المعنى امنت نفسى لا امنت بفلان فلم
يدل على التصديق واذا قيل امنت به دل انه عبارة عن التصديق
وله حقيقة لغوية وحقيقة شرعية فاشار الى الاول بقوله فى اللغة التصديق
اى اذعان حكم المخبر وقبوله وجعله صادقا فيما اخبر به بحيث يقع عليه اسم
التسليم اى الانقياد مع الاعتقاد وتسميته تسليما لزيادة توضيح معنى
الاذعان والى الثانى بقوله وفى الشرع هو اى الايمان تصديق قلبى
اى اعتقاد القلب وجزمه بوجود الله ووحدانيته وبكل ما جاء به الرسول
من عنده من الاحكام والشرايع وغيرهما وانما قيد التصديق بكونه قلبيا لانه
معنى متعلق بالقلب لقوله تع اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وقوله
وقلبه مطمئن بالايمان وقوله والذين قالوا امنا ولم تؤمن قلوبهم وقد

اثبت

اثبت كونه قلبيا بنصوص القران عطف عليها نصوص الحديث
فقال وقوله عم فى دعائه اللهم ثبت قلبى على الايمان وقوله لاسامة
بن زيد رضه حين قتل مقرا باللسان وهو ما روى عنه مسلم فقال بعثنا
رسول الله فى سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فادركت واحدا
فقال لا اله الا الله فطعنته فمات فوقع فى نفسى من ذلك شئ فذكرته
للنبى عم فقال يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت يا رسول الله
انما قالها خوفا من السلاح فقال او لا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها عن
قلب ام لا وحاصله انه اى الايمان فعل القلب لا فعل اللسان ولا يحتمل
السقوط لانه حسن لعينه ولا يقبل السقوط اصلا ووصفا لانه لو تبدل
بضده على اى جهة كان يكون كفرا بخلاف الاقرار بالله وصفاته فانه يحتمله
كما فى حال الاكراه يسقط اصلا مع اطمينان قلبه اما وصفه وهو الحسن
فغير ساقط حتى لو صبر وقتل كان شهيدا ولا مدخل له اى للاقرار فى حقيقة
الايمان لكنه تع اوجبه اى الاقرار لاظهار ما فى قلبه الى غيره من المسلمين
فجعل علامة وشرطا لاجراء الاحكام الاسلامية عليه كالدفن فى مقابر
المسلمين والصلوة عليه وساير الامور الاسلام مما رتب الله عليها مصالح
كالارث والتزويج والابتداء فى التسليم ورده وحقن الدماء والاموال
وغير ذلك اذ التصديق امر باطن لا بد له من علامة كالاقرار وما يقوم
مقامه اذ لا وقوف لغير الله على ما فى القلب فلا بد من دليل يدل عليه
ليجرى احكام الاسلام عليه لقوله عم نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السراير

فجعل الاقرار دليلا على الباطن ليعلم به ويترتب عليه المصالح بوجوده
وتحقيقه ان الله تع الانسان ضعيفا لايستقل بامر معاشه محتاجا الى
تعاضد وتعاون وتعاوض وتعارض لايتيسر الا بتعريف ما في نفسه
من المقاصد لصاحبه بطريق كاشارات وامثلة وكتابة والفاظ
والالفاظ اسهل لانها اصوات وافيد لانها يعبر بها عن الموجود والمعدوم
والمعقول والمحسوس والغايب والشاهد بخلاف الاشارات
والامثال فانعم الله تعالى على العباد باحداث المصنوعات اللغوية
بان وضع الالفاظ بازاء المعاني ووقفهم عليها او باحداث قدرتهم
عليها ليتوصلوا بها الى تحصيل مقاصدهم ثم صار اي الاقرار او ما
يقوم مقامه في كونه علامة خلفا عن التصديق اي القلبي في احكام
الدنيا وجد اي التصديق او لم يوجد واذا تقرر هذا فمن صدق
بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله وان لم يكن مؤمنا في احكام
الدنيا ومن عكس اي اقر بلسانه ولم يصدق بقلبه فبالعكس اي
فهو ليس بمؤمن عند الله وان كان مؤمنا في احكام الدنيا ومن جمع
بينهما اي بين التصديق القلبي والاقرار باللسان صح ان يقول انا مؤمن
حقا اي من غير تردد وشك لانه ان شك في ايمانه يكفر فتقرر ان
الاقرار لا مدخل له في حقيقة الايمان وكذا الاعمال لا مدخل لها في حقيقته
لانه اي الايمان شرطها اي شرط الاعمال لقوله تع ومن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن اي حال كونه مؤمنا والاحوال مشروط والشرط خارج عن

المشروط

المشروط فلا يدخل العمل في حقيقة الايمان هذا اي ما ذهب اليه
ابو حنيفة على ما ذكر هو القول الصحيح والحق الصريح كما يستضح ان
شاء الله وبه قال ابو منصور الماتريدي محمد بن محمد الملقب بامام
الهدى اخذ العلم عن ابي بكر الجورجاني عن محمد بن الحسن الشيباني
عن الامام وكان من كبار العلماء من الحنفية في ماوراء النهر وماتريد
قرية من قرى سمرقند وقيل محلة بسمرقند مات سنة ثلث وثلثين
وثلثمائة بعد وفات ابي الحسن الاشعري بقليل وقبره بسمرقند
وتابعه فيه ابو الحسن الاشعري والقاضي ابو بكر الباقلاني وابو اسحق
الاسفرايني كذا في شرح وصايا الامام للشيخ الاكمل رحمهما الله تعالى
وخالفهما مالك والشافعي والاوزاعي وجميع المحدثين والفقهاء
اي ابا حنيفة وابا منصور الماتريدي رحمه
وقالوا في تحديد حقيقة الايمان ان الايمان هو التصديق بالجنان
والاقرار باللسان والعمل بالاركان اي الايمان مركب من تلك
الثلثة حتى روي عن الشافعي انه قال من اخل اي افسد بالجزء الاول
اي التصديق بالجنان فيه تصريح بانه مركب عنده فهو منافق ومن
اخل بالثاني اي بالجزء الثاني وهو الاقرار باللسان فكافر اي فهو
كافر ومن اخل بالثالث اي من اخل بالجزء الثالث وهو العمل بالاركان
ففاسق اي فهو فاسق وحاصله اي حاصل قولهم ان الاقرار
والعمل جزءان من حقيقته فانه عندهم مركب من ثلثة اجزاء كما مر
ولذا قالوا بجواز زيادته ونقصانه بزيادة العمل ونقصانه خلافا

لابي حنيفة رح كما يجيء وليس كذلك اي ليس الامر كما قالوا لورود
الاعتراضات الصحيحة التي لا تكاد تندفع عقلا ونقلا اما ورودها
عقلا فهو انه لا وجود للشيء الا بوجود ركنه والانسان مؤمن في جميع
الازمان ولا وجود للاقرار في كل لحظة لان الانسان في اكثر الاوقات
ساكت او نايم او مشغول بكلام اخر وكذا العمل لا وجود له في كل لحظة
لان العمل في كثير من الاوقات يرتفع عن المؤمن ولا يجوز ان يقال الايمان
عنه كما ان الله تعالى رفع الصلوة والصوم عن الحايض والنفساء ولا
يجوز ان يقال رفع الله عنهما الايمان بل يقول لها الشرع دعي الصوم
ثم اقضيه وايضا يجوز ان يقول دعي الايمان ثم اقضيه وايضا يجوز ان
ان يقال ليس على الفقراء الزكوة ولا يجوز ان يقال ليس على الفقير
الايمان وايضا يرد الاعتراض بان يقال ان الايمان محدود
ومعرف عطف تفسير للمحدود وهو اي المحدود لا يحمل الا على
جميع اجزاء الحد واذا انتفى جزء منها لا يجوز الحمل على الباقي
اي على باقي اجزاء الحد فلو كان كذلك اي لو كان الايمان مركبا من
التصديق والاقرار والعمل يلزم ان يكون مرتكب الكبيرة بل الصغيرة
كافرا لا عتقالو نتفاء العمل اذ انتفاء الكل وايضا يلزم ان لا
يكون الاخرس الذي لم يتكلم في عمره بكلمة الشهادة مؤمنا وليس
كذلك لانه مؤمن اذا وجد شيء من علامات التصديق واما
ورودها نقلا فقوله عم حين سأله جبرائيل عم عن الايمان

ان تؤمن بالله وملائكته الى اخر الحديث ولم يقل ان تقر وتعمل
فدل هنا على ان الاقرار والعمل ليسا من حقيقته ثم الاعتراض الآخر
قول جبرائيل عم في رواية اذا فعلت هذا اي وجد مني مجرد التصديق
فانا مؤمن وجوابه عم بقوله نعم فهو دليل على انه لا مدخل للاقرار والعمل
في اصله فلو كانا اي الاقرار والعمل داخلين فيه اي في اصل الايمان
لما قال اي النبي عم كذلك اي لما كان جوابه بقوله نعم بل قال لا
اي لا تكون مؤمنا بمجرد التصديق بل يجب ان تقر وتعمل ولما لم يقل
كذا دل على انهما ليسا بداخلين في اصله وكذا يلزم ان يكون تفسيره
اي تفسير النبي عم الايمان بالتصديق وهو قوله ان تؤمن خطا وقوله
في جوابه نعم كذبا وهو باطل اي اللازم وكذا الملزوم فدل انه اي
الانسان مؤمن بما معه من التصديق القايم بقلبه الدايم بتجدد
امثاله في جميع الازمان وان لم يوجد الاقرار والعمل واذا كان
كذلك فقد ظهر مما ذكر من الدلائل البينات بطلان قول الكرامية
من الفرق الضالة وهم اصحاب ابن كرام انتهوا الى التجسيم يجوزون
قيام الحوادث بذات الله تع انه اي الايمان هو الاقرار المجرد اي
عن التصديق لانه يلزم ان يكون المنافقون كلهم مؤمنين وقد
قال تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ويلزم ايضا كون الاخرس
في عمره والمتلفظ بكلمة الكفر مكرها كافرا وعدم كون المؤمنين
حين السكوت مؤمنا ويرد عليهم قوله تعالى قالوا امنا ولم تؤمن

قلوبهم وقوله قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا وكذا ظهر بطلان
قول بشر بن غياث المريسي المعتزلي قد كان اخذ العلم عن ابي
يوسف رحمة الله ثم تعمق في الكلام والفلسفة ولذلك رغب
الناس عنه في زمانه وابن اوندي وعبد الله بن سعيد القطان
انه اي الايمان تصديق فقط الا انه يكون بالقلب واللسان لانه صرف
الاسم عن المفهوم اللغوي بالضرورة وقد عرف انه عمل القلب فقط
بشهادة الايات والاحاديث المذكورة واما قول جهم ابن صفوان
من المعتزلة وابي الحسين الصالحي من القدرية انه اي الايمان هو المعرفة
فقط فاظهر بطلانا من قول المذكورين لانها اي المعرفة غير التصديق
فان بعض اليهود والنصارى بل اكثر اهل الكتاب عرف نبوة نبينا
ولم يصدقوه كما قال تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الى قوله وما هم بمؤمنين
بمجرد المعرفة لا يكون ايمانا وتقرر عطف على قوله فقد ظهر ان ما ذهب
اليه امامنا ومن تبعه في تحقيق حقيقة الايمان هو الحق العاري عن
عن الاعتراضات وشغب الخصوم ولما بين اصل الايمان على المذهب
الاصح نبه بقوله ثم اعلم على ان ما يذكر بعده من جملة ما يجب ان يفهم
ويعلم من اوصاف الايمان وهو ان الايمان اي ايمان اهل السماء
والارض وايمان الاولين والاخرين واحد اي في اصله وهو التصديق
بوحدانية الله وبكل ما يجب الاعتقاد به جملة واهله في اصله سواء
اي لا فرق بين اهل الايمان في اصل الايمان وانما الفرق بينهم في

بمجرد

اوصافه

اوصافه وثوابه كما اشار اليه بقوله والتفاضل اي التفاوت
بينهم في اوصاف الايمان من التنقل والاستنارة والضياء كما ورد
عن النبي عم لو وزن ايمان ابي بكر وايمان امتي لرجح عليهم
وكما ورد عنه يخرج من النار من كان في قلبه وزن كذا من الايمان
فيكون التفاوت في ثوابه ودرجاته وذلك بالتقوى ومخالفة
الهوى وملازمة الاولى ولا يلزم من تساوي اهله في اصله ان يكون
التساوي بينهم من كل وجه لما قال ابو حنيفة رحه في كتابه
العالم والمتعلم ان ايماننا مثل ايمان الملائكة والمرسلين والانبياء
الا ان لهم بعد ذلك فضائل في ثواب الايمان وجميع العبادات
لان تعالى كما فضلهم على الناس كذلك فضل كلامهم وصلوتهم
وجميع امورهم لانهم القادة وامناء الرحمن ولا يدانيهم احد من الناس
في عباداتهم وخوفهم وخشوعهم انتهى وعلى هذا القياس التفاضل
بين عباده المؤمنين في الدرجات انما يكون بالتقوى لقوله تع
ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان حقيقته اي حقيقة الايمان
لا تزيد ولا تنقص تعليل وتاكيد لقوله واهله في اصله سواء
لانه اي الايمان التصديق الذي بلغ حد الجزم والاذعان وذا
لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان لانه لا يتصور زيادته الا بنقصان
الكفر ولا نقصانه الا بزيادة الكفر ولا يمكن ان يكون الشخص
الواحد في حالة واحدة كافرا ومؤمنا لان المؤمن مؤمن حقا

والكافر كافر حقا لقوله تع اولئك هم المؤمنون حقا واولئك
هم الكافرون حقا واما ما فهم من قوله تع واذا تليت عليهم اياته
زادتهم ايمانا وامثاله نحو قوله تع ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
وقوله ويزداد الذين آمنوا ايمانا وقوله وايكم زادته هذه ايمانا
الايات فباعتبار متعلقاته عند نزول الوحي في قول وهو انهم
امنوا بما انزل الله اليهم ثم انزل الله فريضة اخرى وحكما آخر
فامنوا زيادة على ما امنوا ثم وثم فيكون زيادة تصديق على
تصديق وما قبل هذا لا يتصور في غير عصر النبي عم ليس
ينبغي لان الاطلاع على تفاصيل الفرايض ممكن في غير عصر
النبي عم وان الايمان واجب اجمالا فيما علم اجمالا وتفصيلا
فيما علم تفصيلا ولا خفاء في ان التفصيل ازيد وكذا تكرر الايمان
والشهادة في كل وقت يكون زيادة او باعتبار ثمراته اي ثوابه
ودرجاته بالاعمال الصالحة وضيائه اي اشراق نوره في القلب
اذ الايمان له نور وضياء كما قال الله تع فمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه وذا يزيد بالاعمال وينقص بالمعاصي
او قوته او ضعفه بحسب قوة القلب وضعفه وان الايمان والاسلام
عطف على قوله ان الايمان واحد واهله في اصله سواء في الشرع
انما قال هذا لانه لا شك في انهما متغايران بحسب اللغة اذ الايمان
هو التصديق مطلقا في اي شيء كان في الشرع وهو عمل القلب كما مر

والاسلام

والاسلام هو الانقياد والطاعة في الظاهر يؤيده ما ذكر في المسند
عن انس عن النبي عم انه قال الاسلام علانية والايمان في القلب
واما في الشرع فهما بمعنى واحد لان الاسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى
قبول الاحكام والاذعان بها وهو في الحقيقة اسلام العبد نفسه مع
كلية الاشياء لله رب العالمين وذلك حقيقة التصديق بجميع
ما جاء به النبي من عند الله فيرادف الايمان والترادف يستلزم
الاتحاد فلا ينفك احدهما عن الآخر في المعنى ان الاسلام المعتبر
في الشرع انما هو انقياد الظاهر مع انقياد الباطن وذا لا يوجد
بدون الايمان وهو التصديق وكذا الايمان المعتبر في الشرع
انما هو التصديق مع الاقرار وذا لا يوجد بدون الاسلام
وهو الانقياد فيتحدان في المعنى يؤيده قوله تع فاخرجنا من
كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين نعبر
بالاسلام عمن عبر عنهم بالايمان فالذين سماهم مسلمين هم الذين
سماهم مؤمنين فكان الايمان والاسلام واحدا اما قوله تع
الذي يشعر بالتغاير بين الايمان والاسلام وهو وقالت
الاعراب امنا قل لم تؤمنوا حيث نفى الايمان عن الاعراب
فيه ثم بقوله ولكن قولوا اسلمنا اثبت الاسلام لهم فتعين انهما
متغايران بحسب المفهوم والذات فاجاب بقوله فالاسلام فيه
اي في قوله قولوا اسلمنا بمعنى الانقياد الظاهر من غير انقياد الباطن

يعني الانقياد اللغوي لا الشرعي فلا بأس في كونهما واحدا في الشرع
والتحقيق ان اسم الايمان اذا افرد بالذكر يتضمن الاسلام كما في قوله تع
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا
يتقون وقوله وجنة عرضها عرض السموات والارض اعدت للذين
امنوا وكذا الاسلام اذا افرد يتضمن الايمان كقوله تع ومن يبتغ
غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وقوله ونحن له مسلمون واما اذا
اقترنا في الذكر كما في قوله تع ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات وقوله عم اللهم لك اسلمت وبك امنت الخ
وقوله عم الاسلام علانية والايمان في القلب فالمراد بالاسلام
الطاعة والاعمال الظاهرة وبالايمان التصديق بالاصول الشبعة
السابقة فالحاصل ان حالة اقتران الاسلام والايمان غير حالة
افراد احدهما عن الآخر فمثل الاسلام من الايمان كمثل الشهادتين
احديهما من الآخر فشهادة الرسالة غير شهادة الوحدانية فهما شيئان
في الاعيان لكن احديهما مرتبطة بالاخرى في المعنى والحكم كشئ واحد
وكذلك الاسلام والايمان فلا ايمان لمن لا اسلام له ولا اسلام
لمن لا ايمان له فهما كالظهر والبطن اذ لا يخلو المؤمنين من اسلام
به يتحقق ايمانه ولا يخلو المسلم من ايمان به يصح اسلامه ونظير ذلك
لفظ الكفر والنفاق فالكفر اذا ذكر مفردا في وعيد الآخرة دخل
فيه المنافقون كقوله فمن يكفر بالله فقد حبط عمله الآية واذا قرن

بهما كقوله تع ان الكافرين والمنافقين كان الكافر من اظهر
كفره والمنافق من امن بلسانه ولم يؤمن بقلبه كذلك البر
والتقوى ولفظ التوبة والاستغفار ونظايره كثيرة واما ما يفهم
من قوله عم الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتحج البيت ان استطعت اليه
سبيلا وقوله لوفد قوم اتدرون ما الايمان فقالوا الله ورسوله
اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وصيام رمضان وان تؤتوا من المغنم الخمس من
ان الايمان والاسلام هما الاعمال لا التصديق القلبي فليس
كذلك بل المراد بهما ثمرات الاسلام والايمان وعلاماتهما كما في
قوله عم الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق فان المراد شعب الايمان بضع
وسبعون اذ لو كان الايمان نفسه بضعا وسبعين شعبة لكان اماطة
الاذى عن الطريق داخلة فيه وليس كذلك بالاتفاق ولما بين
اصل الايمان وحقيقته اردفه ببيان ايمان المقلد وحكمه فقال
ثم اعلم ان المقلد وهو الذي قبل قول الغير من غير حجة سواء نشأ في
قطر من اقطار النائية او شاهق جبل ولم تبلغه الدعوة ولا علم له
بثبوت الله فصادفه مسلم ودعاه الى الدين وبين له ما يجب اعتقاده
واخبر ان رسولنا بلغ هذا الدين عن الله تع ودعانا اليه فظهرت

على يده المعجزات فصدقه هذا الانسان في جميع ذلك واعتقد
الدين من غير سابقة تامل وفكر او كان من اهل القرى والرساتيق
وسكان الصحاري والبراري وكان خاليا عن ضرب استدلال
فاخبره عالم او غيره بما يجب اعتقاده من غير بيان حجة فصدقه فايمانه
صحيح عند عامة اهل السنة والجماعة خلافا للاشعري في الاول
في قول منه وفي كل منهما في قول المشهور عنه وهو انه قال لا يكون مومنا
ما لم يعتقد كل مسئلة من مسائل اصول الدين عن دليل عقلي
لانه جعل صحة معرفة قول الرسول مترتبة على معرفة حدوث
العالم وكذا عامة المعتزلة قالوا المعتقد لا عن دليل ليس بمومن
وقال ابو هاشم منهم انه كافر فعند جميع المعتزلة لا يحكم بايمان عالم
يعرف ما يجب اعتقاده بالدليل على وجه يمكنه دفع مجادلة الخصوم
وحل جميع ما يورد عليه من الاشكال ولا يخفى ما في قولهم جميعا من تعطيل
فايدة بعثة الرسل والمعجزة جميعا ويلزم على زعمهم اكفار العوام المؤمنين
وهم معظم هذه الامة وذا يقدح فيما علم من ان النبي عم اكثر الانبياء
اتباعا وان امته ثلثا اهل الجنة وكل قول هذا عقباه ففساده
مما لا يخفى على المجانين فضلا عن العقلاء وسياتي لذلك زيادة
تفصيل في روضة الايمان بالرسل ان شاء الله تع وقد ذكر في شرح
المواقف ان الظن الذي لا يخطر بالبال معه احتمال النقيض حكمه
حكم اليقين في كونه ايمانا حقيقيا فان ايمان اكثر العوام من هذه القبيل

وقال

وقال اهل السنة والجماعة كثرهم الله لما تقرر ان الايمان عبارة عن
التصديق القلبي والاعتقاد الاختياري فايمان المقلد صحيح عقلا
ونقلا اما عقلا اشار اليه بقوله لان رجلا اذا اخبر من الغيب
من غير بيان حجة الى غيره فصدقه غيره فيما اخبر به من غير استدلال
ونظر لم يمتنع لاحد ان يقول في حق ذلك الغير امن به او امن له
اي بذلك الرجل المخبر وهذا معنى التصديق بالتقليد ولان الايمان
اما اختياري كمن امن تقربا الى الله وطلبا لمرضاته او اضطراري
كايمان من خرجت نفسه من يده عند تعلق العذاب الدنيوي او رؤية
البأس ومعاينة العذاب الاخروي فالمقلد الذي نفسه واختياره
في يده ولم يكن مضطرا الى ايمانه لانعدام سببه وهو معاينة العذاب
انما يكون ايمانه تقربا الى الله وطلبا لمرضاته لا لدفع العذاب حتى
يكون متشبثا بالايمان والله تعالى وعد الثواب على الايمان وان
كان الثواب ينال بفضل الله وهو امن به وبما جاء من عنده فيتناوله
مطلق الوعد فالمقلد مؤمن وحكم الاسلام لازم لانه مطيع لله باعتقاده
وساير طاعاته وان كان عاصيا لتركه النظر والاستدلال وحكمه
حكم غيره من فساق اهل القبلة من جواز مغفرته او تعذيبه بقدر ذنبه
ثم عاقبة امره الجنة لا محالة هذا قول عامة الفقهاء ومتكلمي اهل السنة
واما نقلا فبقوله ولان النبي عم قبل ايمان الاعراب ونحوهم ممن
لا يفهم النظر فانه عليه الصلوة والسلام بعث في الامة الامية الخالية

عن صناعة الاستدلال والعلم بشرائطه بحيث كانوا يعبدون ما ينحتونه
ويعتقدون ان ما يعبدونه من الصنم المنحوت من الصخر والخشب شريكا
لله تع حتى كانوا يتعجبون من تجريد التوحيد وخلع الانداد ويقولون للرسول
اجعل الالهة الها واحدا ان هذا الشيء عجاب وكانوا يرون البعث
والنشور ممتنعا حتى قال بعضهم من يحيي العظام وهي رميم ومع هذا اذا
آمن واحد منهم بما جاء به النبي عم كان بعده مؤمنا موقنا ولا يشتغل
بتعليمه من الدلائل العقلية في كل مسئلة من مسائل الاعتقادية مقدار
ما يصير به مستدلا ولا مقدار ما يناظر به الخصوم ومضى عليه الخلفاء الراشدون
فان الصديق رضه قبل ايمان من آمن من اهل الردة من غير اشتغال
بتعليمهم الدلايل وكذا عمر رضه لما فتح سواد العراق قبل هو وعماله ايمان
من كان بها من الزط والانباط مع قلة اذهانهم وبلادة افهامهم وكذا
ايمان غيرهم من اهل القرى والرساتيق من المجوس وغيرهم كما علم
بالتواتر ولما كان بين الدين والايمان علاقة تامة قال واعلم
ان دين الله اي الذي تعبد به عباده من الاولين والآخرين
وارتضاه دينا لاهل السموات والارضين وبعث لدعوته الانبياء
والمرسلين وانزل للامر به الكتب السماوية واقام لالزامه البراهين
العقلية والحجج النقلية في السماء والارض واحد فيه اشارة الى ان
الانبياء كلهم على دين واحد قال الله تع شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى

ان اقيموا

ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وهو دين الاسلام لقوله تع ان الدين
عند الله الاسلام واما في الشرايع فلكل واحد منهم شريعة على حدة كما
قال تعالى ولكل منكم جعلنا شرعة ومنهاجا وهو اي الاسلام بين الغلو
وهو مجاوزة الحد المجعول كمجاوزة اليهود في وصف الله تع بالجسمية
والجوارح والتركيب ومتبعهم من هذه الامة المشبهة وقد قال الله تعالى
يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق والتقصير
وهو النزول عن الحد المجعول كنزول قدرية المعتزلة بنفي قدرة
تخليق افعال العباد عن الله تعالى وكل من الغلو والتقصير باطل
مذموم لخروجهما عن العدل والحق لان الحد المجعول في وصف
الله في الكتب الذي الحق هو ان يوصف الله تع بما وصف به نفسه
في كتابه وبما تعبد به رسوله وبين التشبيه كتشبيه الخالق بالمخلوق
باثبات الصورة والجسمية له كما فعله المشبهة وهذا الذي بالغ
اهل الكتاب في رده وابطاله وكتشبيه المخلوق بالخالق كما فعله
عبدة المسيح وعزير ومشركي العرب من عبدة الاصنام وغيرهما
فهؤلاء الذين ارسلت اليهم الرسل ليدعوهم الى عبادة الله
وحده لا شريك له وبين التعطيل كنفي صفات الذات والافعال
عن الله تع كما فعله المعتزلة والجهمية فلا يقال سمعه كسمعنا وبصره
كبصرنا وقدرته كقدرتنا وغير ذلك وبالعكس وكذا لا يقال
ليس له سمع ولا بصر ولا قدرة ولا علم الى غير ذلك بل الحد المجعول

الغلو بالضم حد وزة تجاوز ... اتيك ...

ان يقال الله سبحانه وتعالى سميع لكن لا كسمعنا وبصير لا كبصرنا وقدرة
وعلم لا كقدرتنا وعلمنا الى غير ذلك لما قال تع ليس كمثله شيء وهو
السميع العليم وبين الجبر وهو اسقاط فعل الاكتساب والاختيار
عن العباد بالكلية وجعلهم مضطرين في افعالهم كحركات المرتعش
وحركات الاشجار كما قالت الجبرية والقدر اي اثبات قدرة تخليق
الافعال للعباد ونفيها عن الله تع كما قالت الجهمية وقدرية المعتزلة
والحد المجعول ان يقال افعال العباد كلها خلق الله تعالى وكسب منهم
ويأتي تحقيق ذلك في روضة الايمان بالقدر ان شاء الله وبين الامن
والاياس اي بين الخوف والرجا وهو حقيقة العبودية لان في الامن
ظن العجز عن العقاب وفي الاياس ظن العجز عن العفو وكلاهما
خلاف الاسلام اللهم توفنا مسلما والحقنا بالصالحين وعابه
على سنن الانبياء كما قال تع حكاية عن يوسف عم انت وليي
في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين وكقوله عم
اللهم يا ولي الاسلام واهله مكن على الاسلام حتى نلقاك به

الروضة الثانية في بيان الايمان بالله وبيان جوابه اما وجوبه
فقد اختلفوا في طريقه هل هو واجب سمعا او عقلا فذهبت
الاشاعرة الى الاول وقالوا لا مدخل للعقل في معرفة حسن
الاشياء وقبحها ولا في ايجاب شيء وتحريمه من غير سمع اذ لا يعرف به
حسن الايمان وقبح الكفر بل بالشرع فعندهم من غفل عن الاعتقاد

الحق حتى هلك واعتقد الشرك ولم تبلغه الدعوة كان معذورا
وذهب المعتزلة الى الثاني وقالوا العقل العلة موجبة لما استحسنه
محرمة لما استقبحه على سبيل القطع فوق العلل الشرعية لانها امارات
ليست بموجبة لذاتها حتى لم يثبتوا بدليل الشرع ما لا يدرك تحقيقه
في نفسه بالعقل كرؤية الله في الآخرة بلا كيف وجهة مثلا فعندهم
العقل موجب لذاته فالايمان يجب بمجرد العقل وذلك لانهم يقولون
ان العبد موجد لافعاله فالصبي العاقل عندهم مكلف بالايمان وذهب
اصحابنا الى ان الايمان واجب بالعقل لكن لا بمعنى ان العقل موجب
بذاته بل لان العقل آلة للمعرفة والموجب هو الله تع حقيقة لكن بواسطة
الرسول ووجوب الايمان بالعقل بهذا المعنى مروي عن ابي حنيفة رح
وعليه مشايخنا حتى قال ابو منصور في الصبي العاقل انه يجب عليه معرفة الله
وهو قول كثير من مشايخ العراق لان الوجوب على البالغ باعتبار
العقل ولهذا الاختلاف في صحة ايمان الصبي العاقل وانما التفاوت
بينهما في ضعف البنية وقوتها ولذا لا يكلف الصبي العاقل بالشرائع
وذكر الشيخ الاكمل في شرحه لوصايا الامام نقلا عن الحاكم الشهيد انه
ذكر في المنتقى روي عن ابي حنيفة انه قال لو لم يبعث رسل الله لوجب
على الخلق معرفته بعقولهم وقال لا عذر لاحد في الجهل بخالقه لما يرى
من خلق السموات والارض وخلق نفسه والى هذا اشار بقوله
فلحدوث العالم بجميع اجزائه المعلوم حدوثه بالعقل تحقق العلم بصانعه

وهي ثلثة الخبر الصادق والحواس السليمة والعقل لان السبب
ان كان من خارج فالخبر الصادق والا فان كان آلة غير المدرك
فالحواس والا فالعقل هذا على عادة المشايخ من غير التفاوت
الى تدقيقات الفلاسفة والالهام ليس من اسباب العلم من حيث
يصلح للالزام على الغير عند اهل الحق بحقايق الاشياء فانها ثابتة
والعلم بها متحقق لانا نجزم بالضرورة ببعض الاشياء بالعيان
كحرارة النار ووجود الماء ونحوهما وببعضها بالبيان والنظر
كوجود الباري ونحوه من النظريات خلافا للسوفسطائية فمنهم
من ينكر حقايق الاشياء ويزعم انها اوهام وخيالات باطلة كالعنادية
ومنهم من ينكر ثبوتها ويزعم انها تابعة للاعتقادات كالعندية
ومنهم من ينكر العلم بثبوت شيء ولا بثبوته ويزعم انه شاك وشاك
في انه شاك كاللاادرية اعلم ان الحكم العقلي الحكم هو اثبات امر
او نفيه والحاكم بذلك اما الشرع او العادة او العقل فتنقسم الى شرعي
وعادي وعقلي فالحكم الشرعي هو خطاب الله تعالى المتعلق بافعال العباد
بالطلب او الاباحة او الوضع فقولنا بالطلب يشتمل الجازم كالايجاب
وغير الجازم كالندب وطلب ترك الجازم كالتحريم وغير الجازم كالكراهية
وقولنا او الاباحة يشتمل النكاح والبيع ونحوهما والخطاب تكليفي كما
مر ووضعي كالخطاب بان هذا سبب ذلك او شرط ذلك كالدلوك
سبب الصلوة وكالطهارة شرطها فقولنا او الوضع يشتمل ذلك والحكم

العادي هو اثبات الربط بين امر وامر وجودا او عدما بواسطة تكرر القران
بينهما على الحس كالحكم على النار بانها محرقة فهذا حكم عادي معناه ان
الاحراق يقترن بمس النار في كثير من الاجسام بمشاهدة تكرر ذلك
على الحس وليس معنى هذا الحكم انها هي التي اثرت في احراق ما مسته
او في تسخينه اذ لا دلالة للعادة على هذا المعنى اصلا وانما غاية ما دلت
عليه العادة هو الاقتران فقط اما تعيين فاعل ذلك فليس للعادة
مدخل فيه وقس على هذا ساير الاحكام العادية ككون الطعام مشبعا والماء
مرويا والشمس مضيئة والسكين قاطعة ونحو ذلك وانما العلم بفاعل
هذه الاثار من دليل العقل والنقل وقد اتفق العقل والشرع على انفراد الله
بتخليق ذلك فانه خالق جميع الكائنات عموما وقد غلط قوم في جعل
تلك الاحكام العادية عقلية واسناد وجود كل اثر منها الى المقترن
فوقعوا في شرك عظيم وزعم زميم في اصول العقايد واما الحكم العقلي
فهو عبارة عن ما يدرك العقل ثبوته او نفيه فقيد الحكم بالعقلي احتراز
عن العادي والشرعي في كل معقول اي في كل ما يدرك بالعقل لم يقل
في كل ما يتصوره العقل لئلا يلزم القول بانه تعالى متصور لانه منزه عن
التصور لا يخلو من احد ثلثة اي لا بد له ان يتصف بواحد منها اما الوجوب
او الامتناع او الامكان وانما انحصر في الثلثة لانه اي ما يعقل ان اقتضى
وجوده لذاته ولا يدرك بالعقل عدمه فهو واجب الوجود ولما ثبت
صحة اطلاق الوجود والواجب والقديم ونحو ذلك مما لم يرد به الشرع

على الله تع بالاجماع حتى قيل ان الله والواجب والقديم الفاظ مترادفة
متساوية والوجود لازم للواجب قال وهو الله تعالى وذلك لما انه اذا
ورد الشرع باطلاق اسم بلغة فهو اذن باطلاق ما يرادفه من تلك اللغة
او من لغة اخرى وما يلازم معناه فالواجب العقلي ما لا يدرك العقل عدمه
اما ابتداء بلا احتياج الى سبق نظر ويسمى ضروريا كالتحيز للجرم مثلا
في الواجب لغيره فان العقل ابتداء لا يدرك انفكاكه عن التحيز اي اخذه
قدرا من الفراغ وسيأتي واما بعد سبق النظر ويسمى نظريا كالقدم لله تع
في الواجب لذاته فان العقل انما يدرك وجوبه اذا تفكر وعرف ما يترتب
على ثبوت الحدوث لله من الدور او التسلسل الباطلين وان اقتضى
اي المعقول عدمه لذاته ابتداء كخلو الجرم عن الحركة والسكون وتجرده
عنهما بحيث لا يوجد فيه واحد منهما فيكون ارتفاع النقيضين وهو
المحال الضروري او بعد سبق النظر ككون ذات الله جرما فان العقل
انما يدرك استحالة ذلك بعد ان سبق له النظر فيما يترتب على ذلك
من المحال وهو الجمع بين النقيضين فهو ممتنع والمستحيل كشريكه تعالى
وحلول مثل نفسه واعدام نفسه واتخاذ الولد والصاحبة ونحوها مما
يستحيل في حقه تع وهو المحال النظري واذا كان لكل منهما اقتضاء
ذاتي يمتنع ان ينقلب شيء منهما الى الآخر لان اقتضاء الذات لازم
فلو انتفى انتفت الذات وهذا معنى قولهم قلب الحقايق لا يجوز اي ما كان
واجب الوجود لا يجوز ان يكون ممتنع الوجود ولا جايز الوجود وكذا ما كان

ممتنع الوجود لا يكون واجب الوجود ولا ممكن الوجود وكذا ما كان ممكنا لا يكون
واجبا ولا ممتنعا وان لم يقتض وجوده ولا عدمه لذاته واستوى في
العقل صحة وجوده وصحة عدمه وهو ايضا اما ضروري كاتصاف الجرم
بخصوص الحركة او عدمها فان العقل يدرك بداهة صحة وجودها للجرم
وصحة عدمها له واما نظري كتعذيب المطيع الذي لم يعص الله قط
طرفة العين فان العقل انما يحكم بجواز هذا التعذيب وعدمه في حقه بعد
نظره في برهان الوحدانية ويعرف ان الافعال كلها مخلوقة له ولا اثر
لما سواه في التخليق وهو قادر على التصرف في ملكه كيف شاء ولا يسأل
عما يفعل ولا شريك له في ذلك فهو الممكن والجايز كالعالم واجزائه
العالم ما سوى الله من الموجودات مما يعلم به الصانع يقال عالم الاجسام
وعالم الاعراض وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم العقول وعالم
النفوس الى غير ذلك وهو محدث بجميع اجزائه لانه اعيان واعراض
لان ما قام بذاته فعين والا فعرض وكل منهما حادث كما سيجيء
ويخرج منه صفات الله لانها ليست غيره ولا عينه واعلم ان الجوهر
والعرض والحيز والمتحيز والمركب والجسم الفاظ لم يات في الكتاب
ولا في السنة لكن السلف لما لم يكرهوا التكلم بها بمجرد كونها اصطلاحات
جديدة في معان صحيحة كاصطلاحات الفاظ العلوم الصحيحة
ولا كرهوا ايضا الدلالة بها على الحق والمحاجة لاهل الباطل والرد
عليهم كالفلاسفة ونحوهم اقتفى اثر السلف وقال والممكن اما متحيز

والتحيز هو الفراغ المتوهم المشغول بالشيء وهو الجوهر وهو ماله قيام بذاته
غير تابع تحيزه بتحيز شيء آخر او حال فيه اي في التحيز وقايم به وهو
العرض وهو ما لا يقوم بذاته بل بغيره بان يكون تابعا له في التحيز
وهو في اللغة اسم ما لا دوام له يقال فلان في عارض شغل او مرض
وعند المتكلمين اسم للصفات الثابتة للمحدثات كما يجيء ثم الجوهر
ان قبل القسمة كالتراب والماء مثلا فجسم وهو جوهر قابل للابعاد
الثلثة المتقاطعة اي الطول والعرض والعمق والا اي وان لم يقبل
القسمة لا فعلا ولا وهما ولا فرضا كاجزاء السحاب والدخان مثلا
فجزء لا يتجزى وفي اثباته اشارة الى نفي الهيولى والصورة وهو الجوهر
الفرد عندنا خلافا للفلاسفة فان عندهم لا وجود له وتركب الجسم
عندهم انما هو من الهيولى والصورة واثباتهما يؤدي الى قدم العالم ونفي
حشر الاجساد وانما في نفيهما واثبات الجزء الذي لا يتجزى نجاة عن
كثير من ظلمات الفلاسفة على ما بين في الكتب الكلامية والعرض
اما مختص بالحي كالعلم ونحوه مثل القدرة والارادة والكراهة والشهوة
والنفرة وما يجري مجراها او لا يختص بالحي كالالوان ونحوها مثل الطعوم
والروايح والاصوات او ما يدرك باللمس وامثالها كالخشونة
واللين والترقة والجمود ونحوها وكل ممكن يحتاج في وجوده وعدمه الى
سبب لانه لما لم يكن مقتضيا لشيء من الوجود والعدم كان وقوع كل
منهما بالسبب وهذا بديهي فيحتاج الى مؤثر مرجح اما وجوده على عدمه او بالعكس

وهو اي ذلك المؤثر المرجح اما مختار في ايجاده فعله وهو الذي ان شاء
فعل وان شاء ترك ويصح ان يصدر عنه الفعل مع قصد وارادة
او موجب بذاته وهو الذي يجب صدور الاثر عنه شاء او لا اي من غير
قصد وارادة كالنور من الشمس والاحراق من النار فالفاعل المختار
جاز ان يرجح احد المتساويين في علمه كالعطشان المخير بين قدحين
متساويين في علمه وكالهارب اذا وصل الى طريقين متساويين
كذلك فانه يختار احدهما ضرورة بل جاز ان يرجح المرجوح بخلاف
المؤثر غير المختار فانه لا يصدر عنه الا ما كان راجحا بالنسبة اليه
وتكوين الشيء اي ايجاده واختراعه بدون مادة سابقة واله ابداع
اي يسمى ابداعا كالمخلوق الاول اي المخرج من محض العدم الى الوجود
فتاثير المبدع في مثله يكون في الماهية والوجود وتكوينه بهما اي تكوين الشيء
باله ومادة سابقة ايجاد اي يسمى ايجادا فتاثير الموجد في مثله يكون
في تغيير المادة الى الصورة وقد يطلق اي الايجاد على الابداع ايضا
اي يستعمل مكانه واذا تقرر تحقق العلم بحقايق الاشياء وحدوث العالم
فوجب الايمان بان واجب الوجود لذاته وهو الله تع اعاده تاكيدا او اهتماما
في شان التوحيد موجود لوجود اثره وهو وجود العالم استدلالا بالاثر
على المؤثر الحادث من جملة الممكنات وحدوثه اي حدوث العالم لملازمته
الاعراض الحادثة التي يعلم حدوث بعضها بالمشاهدة بالحس كالحركة
والسكون ونحوهما مثل الضوء والظلمة والسواد والبياض ونحوها ويعلم

حدوث بعضها بالدليل وهو ظريان العدم في اضداد ذلك فان
القدم ينافي العدم وملازم الحادث حادث لان كلها لا تخلو عن
الحوادث لو كان قديما لزم ثبوت الحادث في الازل وهو محال
وحدوثها اي حدوث الاعراض بديهي وهو الذي لا يتوقف حصوله
على نظر وكسب لتغيرها اي الاعراض الحادثة من عدم الى وجود وبالعكس
اي من وجود الى عدم والحادث تحتاج الى محدث لما عرفت ان
كل ممكن يحتاج الى وجوده وعدمه الى مؤثر مرجح اذ لو حدث بنفسه
لزم الترجيح بلا مرجح وهو محال فوجود العالم المصنوع على التاليف
والتركيب والتغيير بالنمط العجيب والسمت الغريب يوجب
وجود الصنع وهو اي وجود الصنع يوجب وجود الصانع فثبت ان
الصانع للعالم موجود واطلاق الصانع على الله تعالى شايع عند
المتكلمين لما ورد اطلاقه عليه تعالى في حديث صحيح وهو ما رواه
الحاكم وصححه البيهقي من حديث حذيفة مرفوعا ان الله صانع كل صانع
وصنعته ووجب الايمان بانه واحد لا شريك له لانه لما تحقق و
وجود العالم على هذا السمت العجيب دل على انتفاء الشركة ايضا فقوله
لا شريك له تاكيد وتقرير لكمال الوحدانية ونفي للشرك بانواعه
كالشرك في الذات والشرك في استحقاق تسمية الالوهية
والمعبودية والشرك في صفاته الذاتية والفعلية فالاول نفعل
المجوس حيث اثبتوا في زعمهم صانعين احدهما يزدان خالق الخير

والمسرات والاجسام الحسنة والاخر اهرمن وهو ابليس خالق الشرور والسيئات
ولهم هذيانات كثيرة في هذا والثاني صنع مشركي العرب حيث اشركوا
مع الله تعالى ما عبدوا من الاصنام في استحقاق العبادة وتسمية الالوهية
فسموا اصنامهم آلهة كقوله تعالى حكاية عنهم قالوا اجعل الالهة الها
واحدا مع اقرارهم بالتوحيد والذات لقوله تع وان سالتهم من خلق
السموات والارض قالوا خلقهن الله الاية والثالث فعل اليهود حيث
قالوا ان الله على صورة البشر وتبعهم في ذلك المشبهة والقدرية والمعتزلة
حيث وصفوا العباد بالخالقية بزعمهم ان كل احد يخلق افعاله اذ لو كان
اثنين مثلا لا دى تعدد الشركة فيهما اما ان يختلفا في افعالهما بان يفعل
كل منهما ضد ما فعله الآخر فيلزم فساد العالم واجتماع الاضداد وذلك
محال لقوله تع وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا
بعضهم على بعض او يتفقا فاحدهما ان لم يقدر على مخالفة الآخر لزم
عجزه وان قدر لزم عجز الآخر والعجز على الله محال واليه اشار بقوله تع
لو كان فيهما اي في السموات والارض الهة الا الله لفسدتا اي لزالتا
او خرجتا عن هذا النظام ولما تحقق وجود العالم المصنوع على الاتقان
والاحكام مؤلفا منظوما مركبا مسخرا شهدت خلقته بثبوت صانع واحد
قديم حي عليم سميع بصير مدبر حكيم والدلايل السمعية كثيرة منها ما قال
ولقوله تع شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم ومنها قوله
الله لا اله الا هو وقوله والهكم اله واحد لا اله الا هو وقوله قل هو الله احد

وقوله وما من اله الا الله الى غير ذلك فوجب الايمان بوحدانيته

وبانه قديم اعلم ان اسماء الله تع توقيفية والشرع لم يرد باطلاق

لفظ القديم على الله تع لكن السلف لما وجدوه بمعنى واجب الوجود

حتى ذهب بعضهم بترادفهما اجمع فقهاء الملة على جواز اطلاقه على

الله تع بل على ادخاله في اسمائه لان معناه ما لا ابتداء لوجوده فالا

صح انه صفة سلبية لانه عبارة عن عدم الاولية او قلت هو عبارة

عن سلب العدم السابق كما ان البقاء عبارة عن سلب العدم اللاحق

وليس لهما معنى في الخارج عن الذهن او قلت عبارة عن عدم

افتتاح الوجود والكل بمعنى واحد هذا معنى القديم بالنسبة الى الله تع

واعتبار ذاته العقلية العلية وصفاته الجلية واما اذا اطلق في

الحادث كما اذا قلت هذا بناء قديم ونحوه فهو عبارة عن طول

مدة الوجود وان كان مسبوقا بالعدم كما في قوله تع انك لفي ضلالك

القديم وقوله كالعرجون القديم فالله تع قديم بالمعنى الاول اذ لو لم يكن

قديما لكان حادثا فيفتقر الى محدث وذلك المحدث ان افتقر اليه تع

يلزم الدور او ان افتقر الى محدث آخر ثم وثم يلزم التسلسل وكل منهما

باطل اما الدور وهو توقف الشيء على ما يتوقف عليه فبطلانه لانه

لو توقف شيء على آخر ويتوقف الآخر عليه ايضا يلزم توقف الشيء

على نفسه وتقدمه على نفسه وهو محال بالبداهة واما التسلسل

وهو ترتب امور غير متناهية يتوقف كل منها على آخر فبطلانه لانه

لو ترتب سلسلة الممكنات لا الى نهاية لاحتاجت الى علة وهي لا تجوز

ان تكون نفسها ولا بعضها لاستحالة كون الشيء علة لنفسه ولعلله بل لا بد

ان يكون خارجة عنها فيكون واجبا لذاته فينقطع السلسلة لان الممتنع

لا يكون علة لامر موجود والمفهومات منحصرة في الثلث الواجب

والممتنع والممكن وبانه باق لان ما ثبت قدمه استحال عدمه لانه لو جاز

ان يلحقه العدم لكان وجوده ممكنا جائزا لا واجبا لصدق الجائز عليه

لان الجائز ما يصح وجوده وعدمه وهذا التقدير الفاسد يستلزم حدوثه

وهو باطل لما مر برهان كونه قديما ولقوله تعالى ويبقى وجه ربك ويجب الايمان

بانه لا شيء مثله لحدوث ما سواه لانه لو ماثل شيئا من الحوادث لكان

حادثا مثله والى ذلك اشار بقوله والمماثلة بالحادث توجب نفي الالوهية

لانه لا شك ان كل مثلين لا بد من ان يجب لاحدهما ما وجب للآخر

ويستحيل عليه ما يستحيل على الآخر ويجوز له ما جاز للآخر فلو ماثل شيئا

من الحوادث لوجب له القدم للالوهية والحدوث لعرض مماثلته للحوادث

وذلك جمع بين متنافيين ضرورة فيلزم نفي الالوهية وهو باطل

بالضرورة ولقوله تع ليس كمثله شيء وهو السميع العليم هذا نص

محكم شامل لنفي جميع سمات المحدثين وصفات المخلوقين عن الله تع

ورد على المشبهة وفي اعرابه وجوه اوجهها كون الكاف صلة زيدت

للتاكيد ومثله خبر ليس واسمها شيء وبانه قايم بذاته اي يجب الايمان

بان تعالى قايم بذاته ومعناه سلب الافتقار الى شيء من الاشياء فيكون

قيامه بذاته عبارة عن الغنى المطلق واليه اشار بقوله مستغن تع عما سواه
من محل اى ذات سوى ذاته ومخصص اى فاعل يخصصه بالوجود وغيرهما
من الاشياء لانه لو احتاج الى محل فيوجد فيه كما يوجد الصفة فى الموصوف
لكان صفة وليس تعالى صفة كما تدعيه النصارى ومن فى معناهم من
الباطنية فيلزم ان لا يتصف بصفات المعانى كالعلم والقدرة وغيرها
لان الصفة لا تتصف بصفة ثبوتية اذ لو جعلت الصفة صفة اخرى
لزم ان لا تتعرى عنها او عن ضدها ويلزم مثل ذلك فى الصفة الاخرى
التى قامت بها فيلزم التسلسل المحال ولو احتاج الى مخصص لكان
محدثا وهو اى كونه محدثا باطل لما مر من البرهان القاطع من وجوب قدمه
وبقائه فتبين بهذين البرهانين وجوب الغنى المطلق واليه اشار بقوله
ولقوله تعالى والله غنى عن العالمين اى كل ما سواه وبانه فاعل بالاختيار
لا موجب بذاته كما زعمته الفلاسفة اذ لو كان موجبا بذاته وقد علم ان
الموجب ما يجب صدور الاثر عنه شاء او لا لكان اثره الاول سواء كان
واحدا او اكثر لازما ثابتا بعاله فى الثبات لان الاثر لازم للمؤثر المستقل
الثابت للذات والتأثير ثابت قطعا واذا كان اثره الاول ثابتا
لكان اثر ذلك الاثر ايضا ثابتا بعين ما ذكرنا واليه اشار بقوله
وكذا اثر اثره فيلزم على هذا التقدير دوام جميع الموجودات بدوام ذاته
وليس كذلك لتحقق الحوادث وكذا يلزم من انتفاء شئ من الاشياء
انتفاء ذاته تع عن ذلك علوا كبيرا لان الانتفاء اللازم يوجب انتفاء

الملزوم وهو محال لما مر من البرهان العقلى والنقلى على بقائه ويجب الايمان
بان له صفات بدلالة صدور الافعال المتقنة عنه على انه حى عالم قادر
ونحوهما ومعلوم ان كلا من ذلك يدل على معنى زايد على مفهوم الواجب
وان صدق المشتق على الشئ يقتضى ثبوت مأخذ الاشتقاق ازلية
لاستحالة قيام الحوادث بذاته تع كما زعمت الكرامية من ان له صفات
لكنها حادثة قائمة بذاته ضرورة انه لا معنى لصفة الشئ الا ما يقوم به
لا كما زعمت المعتزلة من انه متكلم بكلام هو قائم بغيره ومرادهم نفى كون
الكلام صفة لا اثبات كونه صفة له غير قائم بذاته واعلم ان صفات الله
تع اما حقيقية كالوجود والحيوة والقدرة ونحوها او اضافية كالوجوب
والقدم والخلق ونحوها وتسمى صفات الاكرام او عدمية كعدم التحيز
والغنى ونحوهما وتسمى نعوت الجلال وبهذا فسروا قوله تعالى ذو الجلال
والاكرام ثم لله تع صفات لا تنحصر فى عدد اذ كما لاته تعالى لا نهاية لها
فالعجز عن معرفة ما لم ينصب عليه دليل عقلى ولا نقلى لا يؤخذ به بفضل الله تعالى
ولله الحمد واما التى يجب علمها بالدلايل فمنها الوجود والوحدانية والقدم
والبقاء ومخالفته للحوادث وقيامه بذاته كما مر ومنها ثمانى صفات
تسمى صفات المعانى بمعنى انها موجودة فى نفسها واجبة للذات
قائمة بها ما دامت الذات غير معللة بعلة كالحيوة وهى صفة ازلية
توجب صحة صفة العلم قدمها لان غيرها تتوقف عليها وهى لا تتعلق بشئ
بمعنى انها لا تقتضى زايدا على القيام بمحلها اما الصفة المتعلقة هى التى

تقتضي ذلك الا ترى ان العلم مثلا بعد قيامه بمحله يطلب امرا
يعلم به وكذلك القدرة والارادة ونحوهما وبالجملة صفات المعاني
متعلقة اي طالبة لزايد على القيام بمحالها سوى الحيوة والعلم
وهو صفة ينكشف بها ما يتعلق به انكشافا لا يحتمل النقيض بوجه
من الوجوه وهو يتعلق بجميع الواجبات والمستحيلات والممكنات
اي جميع هذه الامور منكشفة لعلمه تع ومتضحة له اتضاحا لا يمكن ان
يكون في نفس الامر على خلاف ما علمه فالله تع عالم بجميع المعلومات
كلياتها وجزئياتها لان وجود جميع المقدورات وبقائها واقع
بقدرة الله وارادته كما سيجي وقد تبين انه فاعل بالاختيار وهو اذا
اراد ايجاد شيء يعلم بالضرورة حقيقة ما يريد ايجاده واذا اراد
ابقاء شيء يعلم عين ذلك الشيء الموجود فيكون عالما بحقايق الموجودات
واعيانها اذ الحقايق كليات والاعيان جزئيات والارادة
ويرادفها المشية وهي صفة تؤثر في اختصاص احد طرفي الشيء من
وجود وعدم والفعل والترك ونحوهما بالوقوع بدلا من مقابله فصار
تاثير القدرة فرع تاثير الارادة والمشية اذ لا يوجد الله تع من الممكنات
او يعدم بقدرته الا ما اراد وجوده او عدمه ولذلك اخرها بقوله
والقدرة وهي صفة تؤثر في وجود الممكن واعدامها وهما اي الارادة
والقدرة تتعلقان بالممكنات يعني ان متعلقهما واحد وتاثيرهما
عند العلماء على وفق العلم فكل ما علم الله ان يكون من الممكنات

اولا يكون فذلك مراده خلافا للمعتزلة اذ عندهم تعلق الارادة
تابع للامر فعندهم لا يريد الله الا ما امره من الايمان والطاعة سواء
وقع ذلك اولا فمثل ايمان ابي جهل عندهم مراد الله لا كفره ولا يخفى
بطلانه للزوم النقص في ملكه لانه وقع ح ما لا يريده وتعالى من له
ملك السموات والارض وما بينهما عن ذلك علوا كبيرا اما عندنا
فمثل ايمان ابي جهل مأمور به غير مراد له لانه علم عدم وقوعه وكفره
منهي عنه وهو واقع بارادته وقدرته فالمتعلقات عند اهل الحق
ثلثة مرتبة تعلق العلم وتعلق الارادة وتعلق القدرة فالثالث
مرتب على الثاني والثاني على الاول فالارادة والقدرة لا تتعلقان
الا بالممكنات فقط وانما لم تتعلقا بالواجب والممتنع لانهما لما كانت
صفتين مؤثرتين ومن لوازم الاثر ان يكون موجودا بعد عدم لزم ان
ما لا يقبل العدم اصلا كالواجب لا يقبل ان يكون اثرا لهما والا يلزم قلب
الحقيقة فيرجع المحال عين الممكن ففي عدم تعلق الارادة والقدرة
القديمتين بالواجب والمستحيل لا قصور اصلا بل لو تعلقتا بهما لزم
ح القصور لانه يلزم على هذا التقدير الفاسد ان يجوز تعلقهما باعدام
نفسهما بل باعدام الذات العلية وباثبات الالوهية لما لا يقبلها
من الحوادث وبسلبها عمن يجب له وهو الله تعالى واي نقص وفساد اعظم
من هذا فانه يؤدي الى تخليط عظيم لا يبقى معه شيء من الايمان ولا شيء
من المعقولات اصلا ولخفاء هذا المعنى عن بعض الاغبياء من المبتدعة

اولا يكون

صرح بنقيض ذلك حتى نقل عن ابن حزم انه قال ان الله تعالى
قادر على ان يتخذ ولدا اذ لو لم يقدر عليه لكان عاجزا فانظر الى اختلال
هذا المبتدع كيف غفل عما يلزمه من اللوازم التي لانه ضل تحت وهم وكيف
غاية ان العجز انما يكون لو كان القصور جاء من ناحية القدرة اما كان
لعدم تعلق القدرة فلا يتوهم عاقل ان هذا عجز فاحفظ هذا يدفع
عنك كثيرا من الشبهات في الاعتقادات والتكوين وهو المعنى
الذي يعبر عنه بالفعل والخلق والتخليق والايجاد والاحداث والاختراع
والترزيق والاحياء والاماتة والتصوير وغير ذلك ويفسر باخراج
المعدوم من العدم الى الوجود وهو يتعلق بما تعلق به الارادة حتى
ذهب البعض الى عدم كونه صفة اخرى سوى القدرة والارادة
والحق انه صفة حقيقية كالعلم والقدرة لانه معنى موجود في الواجب
بالنسبة الى نفس الارادة والقدرة فكيف لا نكونه صفة اخرى
فهي مبداء الاضافة التي هي اخراج المعدوم من العدم الى الوجود لا عينها
كما زعمه البعض من انها من الاضافات والاعتبارات العقلية لكونه
الصانع تعالى قبل كل شيء ومعه وبعده ومذكورا بالسنتنا ومعبودا لنا
ونحو ذلك اذ لو كانت عينها لكان القول بتحققها بدون المكون
مكابرة وانكار للضروري ويجي انه غير المكون وذلك اي دليل
وجود هذه الصفات لله تع ووجوب الايمان بها لانه لو انتفى شيء منها
لما وجد شيء من الحوادث وقد وجدت فثبت تحققها ووجودها وقوله

تعالى هو الحي لا اله الا هو دليل صفة الحيوة وهو بكل شيء عليم دليل صفة
العلم وهو على كل شيء قدير دليل صفة القدرة وفعال لما يريد
دليل صفة الارادة والمشية والله خالق كل شيء دليل صفة التكوين
والتخليق والسميع والبصير وهما صفتان ينكشف بهما الشيء
ويتضح كالعلم الا ان الانكشاف بهما يزيد على الانكشاف بالعلم
وذلك معلوم في الشاهد بالضرورة ولكن متعلقهما اخص من
متعلق العلم اذ كل ما يتعلق به السمع والبصر يتعلق به العلم
ولا ينعكس الا جزئيا المتعلقين بجميع الموجودات فيه تنبيه على ان
سمعه تعالى وبصره مخالف لسمعنا وبصرنا في التعلق لان سمعنا
مثلا انما تتعلق عادة ببعض الموجودات وهو الاصوات وعلى
وجه مخصوص وصفة مخصوصة اما سمعه تعالى وبصره فيتعلقان
بكل موجود قديما كان او حادثا يسمع ويرى في ازل ذاته العلية
وجميع صفاته الوجودية وجميع ذوات الكائنات كلها سواء
كانت من قبيل الاصوات او من غيرها اجساما كانت او الوانا
او اكوانا او غيرها والكلام اي كلام الله تعالى القائم بذاته وهو صفة
ازلية وهو الذي ليس بحرف ولا صوت ولا يقبل العدم ولا ما في معناه
من السكوت والآفة لان الحروف والاصوات اعراض حادثة
مشروطة حدوث بعضها بانقضاء البعض لامتناع التكلم بالحرف
الثاني بدون انقضاء الحرف الاول فيه رد على الحنابلة والكرامية

القائلين بانّ كلامه تعالى عرض من جنس الاصوات والحروف ومع هذا
فهو قديم ولا يخفى بطلانه والمراد بكلام الله تعالى حقيقة اللّغويّة لوجود
كلامه عزّ وجلّ بحسب الدلالة لا بالحلول الّا انّ كنه هذه الصّفة وساير
صفاته تع محجوب عن العقل كذاته فليس لاحد ان يخوض في الكنه بعد
معرفة ما يجب لله تع ولصفاته وكلامه تع صفة بلا كيفيّة وفي عدة من الصفات
الازليّة القائمة بذاته ردّ على المعتزلة حيث ذهبوا الى انّه متكلّم بكلام
هو قايم بغيره وليس صفة له وامّا قول من قال كلامه تع معنى واحد قائم
بذات الله لم يسمع منه وانّما هو الكلام النفسي فقول عجيب وكلام غريب
لانّه لا يقال لمن قام به الكلام النفسي ولم يتكلّم به انّه كلام حقيقة
بل مجازا والّا يلزم ان يكون به انفسها ما لم تتكلّم او تعمل وقوله انّ
صلوتنا لا يصلح فيها شيء من كلام الناس فقد اخبر عم ان الله تعالى
عفا عن الحديث النفسي وفرّق بين الكلام وبين الحديث النفسي
واخبر انّه لا يؤاخذ به حتى يتكلّم والمراد حتى ينطق باللسان باتفاق
اهل اللغة نعلم انّ هذا هو الكلام في اللّغة اذ الشارع انّما خاطب
بلغة اهل العرب فلفظ الكلام والقول وما يتصرّف منهما من ماض
ومضارع وغيرهما انّما يعرب في القرآن والسّنة اذا كان لفظا ومعنى
فلا حاجة الى الاستدلال على معنى الكلام بقول شاعر ضلّ في معناه
وهو قوله انّ الكلام لفي الفؤاد وانّما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
اذ لم يكن في مسمّى الكلام نزاع بين الصّحابة والتابعين وامّا حصل

النزاع بين المتأخرين من علماء اهل البدع ثم انتشر ولا ريب انّ مسمّى
الكلام والقول ونحوهما مما لا يحتاج الى قول الشاعر لانّ هذا مما تكلّم به
الاوّلون والآخرون من اهل اللّغة وعرفوا معناه مسمّى اليد والرّاس
وامّا ما وجد في كتب علم الكلام من التمثيل بالكلام النفسي في الشاهد
فلعلّ مراد العلماء منه النقض على المعتزلة في حصرهم الكلام في الحروف
والاصوات فيقال لهم ينقض حصركم ذلك بكلامنا النفسي فانّه
كلام وليس بحرف ولا صوت فلم يقع الاشتراك بينهما الّا في هذه
الصّفة السّلبيّة وهي انّ كلام ربّنا ليس بحرف ولا صوت كما انّ
كلامنا النفسي ليس بحرف ولا صوت امّا الحقيقة فمتباينة للحقيقة
كل المباينة المتعلّق بما تعلّق به العلم اي بجميع الواجبات والممتنعات
والممكنات لقوله تعالى وهو السّميع البصير دليل صفة السمع والبصر
وكلّم الله موسى تكليما دليل صفة الكلام ولانّه لو لم يتّصف بها اي
بالصّفات المذكورة لزم ان يتّصف باضدادها وهي نقايص والنقص
عليه محال دليل عقلي على تحقق الصّفات الثمانية ثم ازليّة
هذه الصّفات وقيامها بذاته انّما يعلم بانّ كلّا منها لو كان حادثا فلا
يخلو عن ان يكون قائما بذات الله تعالى او قائما بنفسه او قائما بغيره
والكلّ محال امّا الاوّل فلانّه يلزم قيام الحوادث بذات الله وامّا الثاني
فلانّه يلزم ان لا يكون صفة والمقدر خلافه وامّا الثالث فلانّه يلزم ان
لا يكون صفة له تع بل لغيره والمقدر خلافه فهو اي الله تع حيّ بحياته

الازلية الباقية المخصوصة له وهو لا كحياتنا لانها حادثة مخلوقة فانية كذا اننا
عالم بعلمه الازلي وهو لا كعلمنا لانه حادث كذا اننا وكذا مريد بارادته
قادر بقدرته مكون خالق بتخليقه فيه اشارة الى ان التكوين عبارة عن
التخليق سميع بسمعه بصير ببصره متكلم بكلامه ضرورة امتناع اثبات
المشتق للشئ من غير قيام ماخذ الاشتقاق به كما تقرر فيه رد على المعتزلة
فانهم لما لم يمكنهم انكار كونه متكلما ذهبوا الى انه متكلم بمعنى ايجاد الاصوات
والحروف في محالها او ايجاد اشكال الكتابة في اللوح المحفوظ وان
صبر بان المتحرك من قامت به الحركة لا من اوجدها والا لصح اتصاف
الباري بالاعراض المخلوقة له تعالى كالسواد والبياض وغيرهما و
وبطلانه ظاهر وهو اي الله تعالى موصوف بجميعها في الازل قبل
وصف الواصفين اياه بها يعني ان الله تعالى لم يزل متصفا بصفات
الكمال من صفات الذات كالحيوة والعلم والارادة والقدرة والسمع
والبصر والكلام ومن صفات الافعال كالتكوين وما يرجع اليه من الصفات
لانها صفات كمال وضدها صفات نقص والنقص عليه محال ولا تمنع
ازليتها تاخر ظهور اثارها الى الاوقات التي علم في الازل وجودها
فيها اذ لا يستنكر ان يكون المؤثر يظهر تاثيره في الحال بلا فصل او مع
فصل بمدة والمصنوع في الحالين اثر الصانع ولا يلزم من قدمها اي
من قدم الصفات قدم متعلقاتها هذا رد على طائفة توهموا ان
القول بقدم صفات الافعال يؤدي الى القول بقدم المخلوقات وهذا

غلط لان الخلق مثلا صفة الخالق دون المخلوقات فيكون اولا المخلوق
ثانيا فبطل ما توهموا الثبوت ثانيا المخلوق لان التكوين غير المكون عندنا
خلافا للاشعرية فان الفعل يغاير المفعول وهذا معلوم بالضرورة كالضرب
مع المضروب والاكل مع الماكول ولانه لو كان التكوين نفس المكون
لزم ان يكون المكون مكونا مخلوقا بنفسه ضرورة انه مكون بالتكوين
الذي هو عينه فيكون قديما مستغنيا عن الصانع وهو محال اذ الاحتياج
اليه انما هو في التكوين والايجاد وكذا يلزم ان لا يكون الله تعالى
مكونا للاشياء ضرورة انه لا معنى للمكون الا من قام به التكوين
وهو اذا كان عين المكون لا يكون قائما بذات الله تعالى وهو محال
كما مر وكما كان تعالى بصفاته ازليا قبل خلقه كذلك لا يزال
عليها ابديا لان ما ثبت قدمه استحال عدمه كما مر اذ حدوث صفة
او اسم له تعالى هذا ناظر الى قوله كما كان بصفاته ازليا او تعريه عن
شئ من صفات كماله ناظر الى قوله كذلك لا يزال عليها ابديا نقص
وهو محال على الله تعالى ويجب ان يعتقد ان صفاته ليست عين
ذاته لامتناع كون الصفة عين الموصوف ولا غير ذاته لان
الغيرين في ظاهر العرف ذاتان ليست احديهما عين الاخرى
وقد يقال الغيران الموجودان اللذان يصح وجود احدهما مع عدم
الاخر ذكره شجاع الدين في شرحه لعقايد الطحاوي والصفة
ليست بذات فلا يكون غيرا اي صفات الله تعالى لا هو ولا غيره

كلون الشيء مثلا فلا يلزم قدم الغير ولا تكثر القدماء رد على
المعتزلة في زعمهم ان الصفة اذا لم يكن عين الذات فهو غير الذات
والقول بالغير في الازل مناف للتوحيد والقول بازلية الصفات
قول باثبات القدماء ويجاب بان لا استحالة في تعدد الصفات
القديمة القديمة انما المستحيل تعدد الذوات القديمة وقد يقال
ان هذه الصفات معان لازمة للذات الى الابد ولا يقال هي
الذات ولا هي غير الذات فهو اي الله تع شيء موجود وثابت لكن
وجوده وثبوته لا كالاشياء اي لا كوجود وساير الاشياء لان وجوده
لذاته وفيه تصريح بجواز اطلاق اسم الشيء على الله تعالى بدلالة قوله
ليس كمثله شيء حيث نفى عن نفسه المثلية ولم ينف الشيئية لان
اسم الشيء ليس ينبئ عن الكيفية والماهية والجنسية بل عن مطلق
الوجود وهو كقوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله اثبت انه
شيء لا كالاشياء قال الامام في فقهه الاكبر معنى الشيء اثباته بلا
جسم ولا جوهر ولا عرض واليه اشار بقوله ليس بجوهر اما عندنا
فلانه اسم للجزء الذي لا يتجزى وهو متحيز وجزء من الجسم وهو
متعال عن ذلك واما عند الفلاسفة فلانهم وان جعلوه اسما
للموجود لا في موضوع مجردا كان كالعقول او متحيزا كالجسم والهيولى
والصورة لكنهم جعلوه من اقسام الممكن وارادوا به الماهية
الممكنة التي اذا وجدت كانت لا في موضوع وهو في اللغة

الاصل

الاصل يقال لفلان جوهر شريف اي اصل شريف وحده عند
الاصوليين ما يقوم بذاته فلا بالحلول الصفات المتضادات
كالسواد والبياض والحركة والسكون واذا اريد به القائم بذاته و
الموجود الذي لا في موضوع فانما يمنع اطلاقه على الله تع لعدم ورود
الشرع بذلك مع تبادر الفهم الى المركب والمتحيز ولا جسم لانه مركب
ومتحيز وذلك امارة الحدوث ولا عرض لانه لا يقوم بذاته بل يفتقر
الى محله فيكون ممكنا ولانه يمتنع بقاؤه ولا ذي صورة وشكل مثل
صورة الانسان او غيره لان ذلك من خواص الاجسام يحصل لها
بواسطة الكميات والكيفيات واحاطة الحدود والنهايات ولا حد
ونهاية اي ليس ذي حد ونهاية ولا يوصف بالماهية اي بالمجانسة
للاشياء لان معنى قولنا ما هو من اي جنس هو والمجانسة توجب
التمايز عن المجانسات بفصول مقومة فيلزم التركيب ولا بالكيفية
من الالوان والطعوم والروايح والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة
وغير ذلك مما هو من صفات الاجسام وتوابع المزاج والتركيب ولا
يتمكن في مكان لان التمكن عبارة عن نفوذ بعد في بعد آخر متوهم
عند المتكلمين او متحقق عند الحكماء فيسمون ذلك البعد الآخر
المكان والبعد عبارة عن امتداد قائم بالجسم او بنفسه القائلين
بوجود الخلاء والله تعالى منزه عن الامتداد والمقدار لاستلزامه التجزي
ولا يجري عليه زمان لان الزمان عندنا عبارة عن متجدد يقدر

بمبدء وآخر وعند الفلاسفة عن مقدار الحركة والله تع منزه عن ذلك
ولانه خالق الزمان وخالق المكان فلا يكون زمانيا ولا مكانيا لما في
كل من ذلك اشارة الى ما ذكره من التنزيهات من الحدوث والامكان
كما مر واعلم ان ما ذكره من الصفات والتنزيهات بعضه يغني عن
البعض الا انه حاول التفصيل والتوضيح في ذلك قضاء لحق الواجب
في باب التوحيد والتنزيه وردا على المشبهة والمجسمة وساير فرق
الضلال والطغيان بابلغ وجه واوكده فلم يبال بتكرير الالفاظ
المترادفة والمتساوية و بالتصريح بما علم التزاما ونحوها واما ما في بعض
الايات اي ايات القران والاخبار اي الاحاديث من الاشعار
بالجهة والجسمية كالفوق والوجه واليد كما في قوله تعالى الرحمن على العرش
استوى وقوله وجاء ربك وقوله يد الله فوق ايديهم وقوله ويبقى وجه
ربك وقوله ولتصنع على عيني ونحو قوله عم ان قلوب بني ادم كلها
بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء ونحوها
من الايات المتشابهات والاحاديث المشكلات فالاولى الايمان
بحقيقة المراد منها اي الاولى الايمان بظاهرها والتنزيه عن حقيقتها
وتفويض علمه اي علم معناه المراد الى الله ورسوله كما هو راي السلف
اذ هو اسلم للذين لا يفقهون دقايق الكلام سئل الامام مالك رحمه
عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب
والسؤال عنه بدعة لقوله تع وما يعلم تاويله الا الله اعلم انه كما ورد

في القران

في القران والحديث ان له يدا ووجها ونفسا وعينا ونحوها ولا نعلم
كيفيتها اتفق السلف من ائمة اهل السنة على اثبات صفاته
المذكورة ومنعوا التاويل الذي يصرفها عن حقايقها اللائقة لله تع
لان فيه نفيا للصفات وهو قول اهل الاعتزال والقدر واليه
اشار بقوله فلا يقال ان يده قدرته او نعمته لما فيه اي في هذا
التاويل من ابطال صفة اليد بل يقال اليد صفة له بلا كيف كالغضب
والرضا والقدر والقضاء اي كما ان الغضب والرضا والقدر والقضا
صفات الله تع بلا كيف كذلك اليد صفة له بلا كيف لان صفاته تعالى
ليست كصفات المخلوقين فان الغضب في المخلوق عبارة عن حمي
القلب وتوقده فيحمر عنده الوجه وتنتفخ الاوداج والرضا يظهر عنده
نضارة الوجه وسرور النفس والمحبة ميل الطبع وغليان القلب وهذا
كله تغير والله تعالى منزه عن التغير فلا يقال في التاويل ان الغضب ارادة
الانتقام وانزال العقوبة والرضا ارادة الاحسان والاكرام والمثوبة
على التابيد ونحوها لما فيه من نفي الصفات كما مر او يقال هو اي ما في الايات
والاحاديث من الاشعار بالجهة ونحوها متاول بتاويلات صحيحة دفعا
لمطاعن الجاهلين وصيانة لاعتقادات الضعفة القاصرين عن ظواهرها
كما هو مذهب بعض الخلف من المتاخرين الراسخين في العلم فيتاول
فيما يمكن الوجه بالذات والعرش بالملك والاستواء بالاستيلاء واليد
بالقدرة واليدان بقدرتي الاختراع والايجاد والمجي بالامر والاصبعان

بالخوف والرجاء ونحوها كما بيّن في المطولات ولا يجب عليه
اي على الله تعالى شيء يصلح ذلك الشيء للعباد او لا يصلح والا لما
خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا والآخرة ولما كان له منّة على
العباد واستحقاق شكر في الهداية ونحوها ولانّه لو وجب عليه شيء
فان استوجب الذمّ بتركه اي بترك ذلك الشيء الواجب عليه
كان ناقصا مستكملا بفعله وهو محال وان لم يستوجب الذم
بتركه لم يتحقق الوجوب فيه ردّ على المعتزلة في زعمهم الفاسد وتحكّمهم
البارد بانّه يجب على الله تعالى مراعاة الاصلح وانّه يجب عليه ان يعطي
كلّ احد ما هو معاون الدّين وما من شيء خيرا كان او شرا حسنا
كان او قبيحا جوهرا كان او عرضا في الكونين اي في الدنيا والآخرة
والغيب والشهادة الّا هو واقع بعلمه الشامل لجميع الاقسام العقلية
وارادته وقدرته المتعلقين بالممكنات لانّ وجود جميع المخلوقات
وبقاء وجودها واقعان بقدرة الله ومشيته لانه ان لم يكن لشيء
من الاشياء تاثير في شيء اصلا يكون الكل بقدرة الله وان كان للشيء
تاثير في شيء فقوة ذلك التاثير لا يكون لذات الجوهر لا بد ان يكون
بقدرة الله ومشيّته لانّ كل ممكن فرض سواء كانت حقيقة كاملة او جزء
حقيقة او مركبا منهما فهو اما جوهر او عرض او مركب منهما او من جوهرين
او من عرضين او اكثر فقوة ذلك التاثير لا يكون لذات الجوهر والا لكان
كل جوهر كذلك وليس كذلك وكذا العرض ولا لذات شيء من المركبات

المذ

المذكورة لعين ما ذكر واذا لم يكن تلك القوة لذات شيء من هذه الاقسام
وليس ممكن اخر سوى هذه الاقسام فيكون من تاثير صانع قديم بتخصيص
بارادته قوة تاثير كل شيء مؤثر واذا كان كذلك يكون الفاعل في كل
شيء بالحقيقة هو الله تعالى لانّ فاعل القوة المؤثرة حالة تاثيرها فاعل
في الاثر حقيقة فمن هذا البرهان عرف بطلان قول المعتزلة ان المعرفة
والخير والحلال من الله تع والجهل والشرّ والحرام من المخلوقات وتكوينه المتعلق
بما تعلق به الارادة لا كما زعم الفلاسفة من انّه لا يعلم الجزئيات ولا يقدر
على اكثر من واحد والدهريّة انّه لا يعلم ذاته والنظام انّه لا يقدر على خلق
الجهل والقبيح والبلخي انّه لا يقدر على مثل مقدور العبد وعامة المعتزلة
انّه لا يقدر على نفس مقدار العبد وبطلان زعمهم ظاهر لانّ الجهل بالبعض
والعجز عن البعض نقص وافتقار الى الغير وهو محال واذا كان كذلك
فما شاء واراد وجوده او عدمه كان اي يقع هو على مقتضى علمه
وارادته البتة وما لم يشأ لم يكن ولقد احسن من قال فما شِئتَ
كان وان لم اَشأ وما شِئتُ ان لم تشأ لم يكن لانّ نفوذ مشيّة
الغير وارادته بدون ارادته تعالى دلالة القهر وهو محال في حقه تع
فيه ردّ على المعتزلة في زعمهم الفاسد انّ تع شاء عن كل كافر الايمان
وشاء الكافر من نفسه الكفر فكان ما شاء الكافر ولم يكن ما شاء الله تع
عن ذلك علوا كبيرا اذ لا ضدّ له ولانّه الضدّ المخالف والنّدّ
المثل وقد مرّ انّه واحد لا شريك له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد يهدي

اى يخلق فعل الاهتداء لمن يشاء اعلم ان الهدى يحتمل وجوها احدها
بيان دين الحق كقوله تعالى لنبيه انك لتهدى الى صراط مستقيم اى
تبين طريق الحق من الباطل ومنه سمى القران هدى والثانى الدعاء
والامر كقوله تعالى ولكل قوم هاد اى داع وآمر والثالث خلق فعل
الاهتداء والتوفيق اذا عرفت هذا فالهدى بالمعنيين الاولين يضاف
الى الله والى رسوله واتباعهم واما بالمعنى الثالث فلا يجوز اضافته
الى غير الله تع والمعتزلة قالوا ان الهدى هو البيان والامر والدعاء
لا غير فمعنى ما يضاف الى الله يكون بمعنى بيان طريق الدين لا خلق فعل
الاهتداء وكذا الاضلال فيما يضاف الى الله تعالى هو تسمية الله اياهم ضلالا
لانه يقال اضله اى سماه ضالا لا خلق فعل الضلال وبطلان تاويلهم ظاهر
من قوله تع خطابا للنبيه انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من
يشاء اذ يكون المعنى على زعمهم ومذهبهم انك لا تبين طريق الحق ولا تأمر
ولا تدعو الى الحق من احببت وهذا افتراء على الله ورسوله بل الهداية
فى الاية تخليق فعل الاهتداء والتوفيق اى انك لا تخلق فعل الاهتداء
ولا تملك التوفيق لمن احببت وانما ذلك الى الله تع ويعصم ويعافى
من الكفر والطغيان والدواعى والخذلان من يشاء من عباده فضلا
منه وكرما اى يخلق فعل الضلال ويخذل ويبتلى بانواع البلاء من يشاء
عدلا منه اذ هو تصرف فى ملكه على ما سبق علمه فى الازل بما يكون
من عباده من طاعة وعصيان وكفر وايمان عن اختيار وايثار اى

بعرف

بصرف اختيارهم الجزئى الذى هو كسب منهم لا جبر واضطرار كما زعمت
الجبرية اعلم ان الاثر اذا ترتب على فعل فهو من حيث انه ثمرة الفعل
يسمى فائدة له ومن حيث انه على طرف الفعل ونهايته يسمى غاية
له ففائدة الفعل وغايته متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار ثم
ذلك الاثر المسمى باسمين ان كان سببا لاقدام الفاعل على ذلك
الفعل يسمى بالقياس الى الفاعل غرضا ومقصودا وبالقياس الى
فعله يسمى علة غائية فالغرض والعلة الغائية ايضا متحدان بالذات
ومختلفان بالاعتبار وان لم يكن سببا للاقدام يكون فائدة وغاية
فقط فافعال الله تعالى لما كان بحيث يترتب عليها حكم ومصالح لا
تعد ولا تحصى وكان يذهب الى بعض الاوهام انها اغراض لها
لافعاله قال ولا يعلل افعاله بالاغراض اذ لو فعل لغرض فوجود
ذلك الغرض لا بد ان يكون اولى بالقياس اليه من عدمه والا لم يصلح
ان يكون غرضا فيكون الفاعل حينئذ مستفيدا بتلك الاولوية فح
لكان ناقصا لذاته مستكملا بغيره وهو اى كونه ناقصا محال ولان
غرض الفاعل لما كان سببا لاقدامه على فعله كان ذلك الفاعل
ناقصا فى فاعليته مستفيدا لها من غيره كالاحتياج الى المخلوقات
والنقص محال لان كمال الله تع فى ذاته وصفاته يقتضى الكمالية
فى فاعليته وافعاله وكماليته تقتضى ان يترتب عليها مصالح راجعة
الى عباده فتلك المصالح غايات وثمرات لافعاله لا علل غائية

لها كما سيصرح به لا يقال انّما يلزم الاستفادة والاستكمال اذا كانت
المنفعة راجعة الى الفاعل امّا اذا رجعت الى غيره كالاحسان
الى المخلوقات مثلا فلا لانّا نقول ان كان احسانه وعدم احسانه
اليهم متساويين بالنسبة اليه تع لم يصلح الاحسان ان يكون غرضا
داعيا الى الفعل والّا يلزم الترجيح بلا مرجّح وان لم يستويا بان
كان الاحسان ارجح واولى لزم الاستكمال وما فى بعض الايات
كقوله تع وما خلقت الجنّ والانس الّا ليعبدون ونحوه والاحاديث
كقوله عم انّ الله تع قال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت
الخلق ونحوها من ايهام انّ افعاله تعالى معلّلة بالاغراض فهى محمولة
على الغايات والثمرات المترتبة عليها لا علل غائية لها كما مرّ ومن
قال بتعليلها بناء على شهادة ظواهرها فقد غفل عمّا يشهد به
الانظار الصحيحة والافكار الدقيقة او اراد اظهار ما يناسب افهام
العامة جريا على مقتضى كلّم الناس على قدر عقولهم ولمّا كان رؤية
الله تع اشرف مسائل اصول الدين واجلّها اذ بها امتياز اهل السنّة
والجماعة عن الفرق الضالّة المنكرين لها قال والله تع يرى المراد
بالرؤية الانكشاف التامّ بالبصر فى الآخرة فيه دلالة على نفى
الرؤية فى الدنيا وردّ على بعض الملاحدة لاهل الجنّة قبل الدخول
وبعدها لقوله تع تحيّتهم يوم يلقونه سلام وتخصيصهم بالذكر يدلّ
على نفى الرؤية عن غيرهم وفيه اشارة الى انّ رؤيتهم فى الجنّة

يؤيده قول الاوزجندى فى قصيدته وينسون النعيم اذا رأوه بغير احاطة
ولا كيفية لانّه منزّه عن حدّ ونهاية ومقابلة جهة وكيفية كقوله تعالى
لا تدركه الابصار وقوله ولا يحيطون به علما وهذا لكمال عظمته ونهاية
كبريائه لقوله تع وجوه يومئذ ناضرة اى من البهاء والحسن او من
النعيم الى ربّها ناظرة اى الى وجه الله رواه ابن عمر وابن عباس رضى
الله عنهما واعلم انّ النظر اذا عدّى بنفسه لقوله تع انظرونا نقتبس
من نوركم فمعناه التوقّف والانتظار واذا استعمل بفى كقوله تع اولم ينظروا
فى ملكوت السّموات والارض فمعناه التفكّر والاعتبار واذا استعمل
بالى كقوله تع انظروا الى ثمره اذا اثمر فمعناه المعاينة بالبصر فكيف اذا
اسند الى الوجه الّذى هو محلّ البصر ولقوله تع للّذين احسنوا الحسنى
وزيادة فالحسنى الجنّة والزيادة النظر الى الله تع هذا قول جميع
المفسّرين من اهل السنّة والجماعة ولقوله عم انّكم سترون ربّكم
كما ترون القمر ليلة البدر حديث مشهور رواه احد وعشرون رجلا
من اكابر الصحابة والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرئى وفيها احاديث
غيره لا تنكر ويدلّ على امكانها العقل وهو انّا نقطع برؤية الاعيان
والاعراض ضرورة انّا نفرق بالبصر بين جسم وجسم وبين عرض
وعرض والعلّة المشتركة هى الوجود وهو مشترك بين الصانع وغيره
فيصحّ ان يرى واليه اشار بقوله ولانّ العقل اذا خلّى ونفسه
لم يحكم بامتناعه بل يحكم بجوازه فانّ موسى عم كان كليم الله ورسوله

مطلب اجابة الدعوات وقضاء الحاجات

الكريم وكان اعلم الناس بربه في وقته وقد سأل رؤيته بقوله رب ارني
انظر اليك فلا يظن انه يسأل ما لا يجوز عليه وانه تعالى قال لن تراني
ولم يقل اني لا ارى او لا يجوز رؤيتي او لست بمرئي فيدل على انه مرئي
ولكن موسى عم لا يحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوى البشر فيها
عن رؤيته تعالى يوضحه قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه
فسوف تراني وفيه رد على المعتزلة وقولهم بتأبيد لن فاسد لانه
لو كانت للتأبيد ما جاز تحديد الفعل وقد جاء ذلك في قوله تعالى
فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي الاية وقوله تع وقالوا لن نبرح
عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى الاية واستدلالهم بقوله تعالى
لا تدركه الابصار وبيل عليهم لان الادراك عبارة عن الرؤية
على وجه الاحاطة بالجوانب والحدود فيكون المعنى انه تع مع كونه
مرئيا لا تدركه الابصار لتعاليه عن التناهي والحدود مع ان الآية
مسبوقة للتمدح وهو انما يكون فيما يمكن الرؤية ولكن لا يرى للتمنع
والتعزز بحجاب الكبرياء وقد استقصينا مسئلة الرؤية في شرحنا
لعقايد الطحاوي والله تع يجيب الدعوات ويقضي الحاجات لقوله
تع واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان وقوله ادعوني استجب لكم وقوله عم ما من رجل يدعو الله
بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه بها احدى ثلثة خصال
اما ان يعجل له دعوته او يدخر من الخير مثلها او يصرف عنه من الشر مثلها

ولقوله

ولقوله عم ينزل ربنا في كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول من يدعوني
فاستجيب له من يسألني فاعطاه من يستغفرني فاغفر له ولقوله عم
ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يده اليه ان يردها
صفرا وفي قوله تعالى ادعوني اشارة الى ان ترك الدعاء معصية
يؤيده قوله عم من لم يسأل الله يغضب عليه وفيه رد على طائفة زعموا
ان مشيئة الله تع اذا تعلق بشيء فلا حاجة الى الدعاء والا فلا
فائدة وبالجملة ان اكثر الخلق من المسلمين وساير اهل الملل اتفقوا
على ان الدعاء من اقوى الاسباب في جلب المنافع ودفع المضار
والعمدة في ذلك صدق النية وخلوص الطوية وحضور القلب
لقوله عم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب
الدعاء من قلب غافل لاه واختلف في قبول دعاء الكافر والصحيح جوازه
لما اخبر الله تعالى عن الكفار انهم اذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين
له الدين وقوله تعالى حكاية عن ابليس رب انظرني فقال تع انك
من المنظرين وهذا اجابة وفي الدعاء والصدقة تأثير ونفع لقوله عم
لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وقوله الدعاء يرد
البلاء والصدقة تطفئ غضب الرب فيه رد على قوم من المتفلسفة
وغالية الصوفية في زعمهم ان الدعاء لا فائدة فيه وعلى اهل الطبايع
لان الاشياء كلها عندهم مؤثرة طبعا فشرع الدعاء وصلاة الاستسقاء
مثلا ليتبين كذب اهل الطبايع ولانا امرنا بالدعاء والاستغفار والصدقة

فنعلم انها تنفع اذ لا يأمر الله ولا رسوله الا بما ينفع للاموات والا
الاحياء بدلالة صلوة الجنازة فى حق الاموات وصلوة الاستسقاء
فى حق الاحياء والاحاديث والاثار فى هذا الباب اكثر من ان يحصى
فانكار نفع الدعاء عناد ومكابرة فان منفعة الدعاء امر اتفق عليه
تجارب الامم لا يقال فان قيل ح كان اعطاء الله معللا بدعاء
العبد ومعلله كما يعقل من اعطاء المسؤل للسائل من ان السائل يؤثر
فى المسؤل حتى اعطاه لانا نقول ان تع يقذف فى قلب العبد حركة
الدعاء ويجعلها سببا للخير الذي يعطيه اياه كما فى العمل والثواب فهو
الذى وفق العبد للعمل ثم اثابه وهو الذى وفقه للدعاء ثم اجابه
وعليه قوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فاخبر
بانه يبتدئ بالتدبير ثم يصعد اليه الامر الذى دبره واعلم ان فى
الدعاء نكتا لطيفة ومعانى شريفة احدها دلالة الوجود فان
من ليس بموجود لا يدعى والثانى الغنى فان الفقير لا يدعى والثالث
السمع فان الاصم لا يدعى والرابع الكرم فان البخيل لا يدعى والخامس
الرحمة فان القاسى لا يدعى السادس القدرة فان العاجز لا يدعى
هدانا الله لدعائه ووفقنا لرضائه **الروضة الثالثة** فى بيان الايمان
بالملائكة كقوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين
فيجب الايمان بانهم مخلوق الله تعالى وعباده وهم اشخاص فيه اشارة
الى انها ذوات موجودة قائمة بانفسها روحانية اى اجسام لطيفة

فى

فى تركيب الحيوان لاستجازة العقل تركيب كل جوهر باى تركيب كان
وتخلق الحياة فيه وليسوا النجوم مسخرة كما ذهب اليه طائفة من اهل
الزيغ ولا نفوس مجردة مخالفة للنفوس الناطقة كما ذهب اليه
الحكماء ولا نفوس فاضلة كاملة بشرية مفارقة للابدان كما زعمت
النصارى قادرون على التشكل باشكال مختلفة باذن الله تعالى
كما روى ان جبرائيل عم كان يجئ الى النبى عليه السلام فى صورة البشر
تارة فى صورة دحية الكلبى من اصحابه وتارة فى صورة اهل البادية
لا يوصفون بذكورة ولا انوثة اذ لم يرد به نقل بل ورد على خلافه وهو
قوله تع ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون لما فيه من الاستهزاء
من قولهم ان الملائكة بنات الله وفيه اشارة الى ان الانوثة ليست
من لوازم ذاتهم ليمكن معرفة ذلك بالعقل ولذا قال ولا يدل عليه
عقل بل هم عباد له منكرون فيه رد على عبدة الاصنام حيث زعموا
ان الملائكة بنات الله اوجدهم لحجته على الخلق لا لحاجته اليهم لانه
غنى عن العالمين كما امر واوقفهم فى خدمته لا للمعونة لانه قوى عزيز
منزه عن النصير والشريك والنظير فينفذون امره لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون منهم الصافون
ومنهم المسبحون ليس منهم الا له مقام معلوم لا يتخطاه وهو على ما قدر به

لا يقصر عنه ولا يتعداه لقوله تع وما منا الا له مقام معلوم وهم رسل الله
بينه وبين عباده بدلالة لفظ الملك لانه من الالوكة وهي الرسالة
ينزلون ويصعدون بامر الله من عنده في اقطار العالم لقوله تعالى
جاعل الملائكة رسلا اي وسايط بينه وبين انبيائه والصالحين
من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤية الصادقة
او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم اثار صنعه اولي اجنحة مثنى وثلاث
ورباع اي ذوي اجنحة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها
وروي عن النبي عم انه راى جبرائيل ليلة المعراج له ستمائة جناح
ولما دل الكتاب والسنة على اصناف الملائكة قال ثم هم اصناف
موكلة باصناف المخلوقات لا يحصيها الا الله لقوله تع وما يعلم جنود ربك
الا هو وهم اعظم جنود الله ورؤساؤهم الاملاك الثلاثة الموكلون
بالحياة فجبريل موكل بالوحي الذي به حيوة القلب والارواح وميكائيل
موكل بالقطر الذي به حياة النبات واسرافيل بالنفخ في الصور الذي به
حياة الخلق بعد مماتهم كما سيجيء واما عزرائيل فموكل بقبض الارواح
اي ارواح العالمين لقوله تع قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل
بكم الاية وله اعوان من الملائكة لقوله تعالى اذا جاء احدكم الموت توفته
رسلنا وهم لا يفرطون الاية فملك الموت يتولى قبضها واستخراجها ثم
يأخذ منه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب ويتولونها بعد ذلك
بحسب ما امروا باذن الله وقضائه وبعضهم بالسموات والافلاك يحركونها

وبعضهم

وبعضهم بالشمس والقمر وبعضهم بالارض فمنهم من وكل بالجبال
وبالسحاب والمطر وغير ذلك وبعضهم بالجنة وعمارتها وغراسها
وعمل الاتها وبالنار وايقادها وتعذيب اهلها وعمارتها وبعضهم
يكتب اعمال بني ادم لقوله تعالى كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
ولقوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون
وكذا بعضهم موكل بالرحم يدبر امر النطفة حتى يتم خلقها وبعضهم
بالسؤال بعد الموت كسؤال منكر ونكير عن ربه ونبيه ودينه على
ما جاءت به الاخبار عن رسول الله عم وذكر ابن يونس من الشافعية
ان ملكي المؤمن يقال لهما مبشر وبشير وبغير ذلك من الامور ملائكة
موكلة فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة كما قال تعالى
فالمدبرات امرا فالمقسمات امرا وقوله والناشرات نشرا فالفارقات
فرقا وقوله فالملقيات ذكرا الى غير ذلك وهم الملائكة عند اهل
الايمان واتباع الرسل واما المكذبون المنكرون للصانع فيقولون
هي النجوم ومعنى جمع التانيث في اوصافهم باعتبار الفرق والطوائف
والجماعات التي مفردها فرقة وطائفة وجماعة واما عدم رؤية البشر
اياهم سوى الافراد من الانبياء في صورهم الاصلية فلعدم طاقتهم
لحسنها وهيبتها حتى قيل لو راهم البشر في صورهم الاصلية لطار روحهم
ورسلهم افضل من عامة البشر بالاجماع بل بالضرورة كما فهم من اوصافهم
اما رسل البشر فافضل من رسلهم بدلالة سجودهم لادم على وجه التعظيم

والتكريم وبقوله تع وعلم آدم الاسماء كلها لما فيه من بيان زيادة علمه وعامة
البشر افضل من عامتهم لقوله تع قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا
ولان الانسان انما يحصل الفضائل والكمالات العلمية والعملية
مع وجود العوايق والموانع من الشهوة والغضب وظهور الحاجات الضرورية
الشاغلة من اكتساب الكمالات ولا شك ان العبادة وكسب الكمال
مع الشواغل والصوارف اشق وادخل في الاخلاص فيكون افضل
بخلاف المعتزلة وبعض الاشاعرة حيث ذهبوا بتفضيل الملائكة
لانها ارواح مجردة كاملة بالفعل مبرأة عن مبادى الشرور والآفات
قوية على الافعال العجيبة عالمة بالكواين واجيب بان ذلك مبنى
على الاصول الفلسفية وان كانت الملائكة لا يعصون ولا يكفرون
كما مر من انهم يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واما هاروت
وماروت هذا جواب عن مظنة ان منهم من يكفر ويعصى كما ان
اليهود زعموا ان الواحد فالواحد قد يرتكب الكبيرة فيعاقبه الله تع
بالمسخ بالمسخ وهو باطل لما فيه تفريط وتقصير شانهم فالاصح انهما
ملكان لم يصدر عنهما كفر ولا كبيرة وان كان يفهم ذلك من حكاية
حالهما وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه
وبين المعجزة وما قيل من انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا
لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى
السماء بما تعلمت منهما فيحكى عن اليهود وقيل هما رجلان سميا ملكين

باعتبار

باعتبار صلاحهما وكانا يعظان الناس ويقولان لهم اذا اراد احدهم
ان يتعلم السحر منهما انما نحن فتنة فلا تكفر باعتقاد حل السحر وعمله كقوله تع
وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ويعلمان السحر
ولا كفر في تعليمه اى تعليم السحر بل الكفر في اعتقاد جوازه والعمل به
ولما فهم العصيان من حكاية تعذيبهما قال وتعذيبهما انما هو على
وجه المعاتبة كما يعاتب الانبياء على الزلة والسهو لجلالة قدرهم
ومكانتهم من الله تع واما ابليس فليس من الملائكة هذا جواب
ايضا عن مظنة الكفر من بعضهم بل كان جنيا مستورا فيما بينهم
اى بين الملائكة ففسق اى اعرض عن امر ربه حيث امره بالسجود
لادم عم فابى واذا كان في صفة الملائكة في باب العبادة ورفعة
الدرجة فصح استثناؤه منهم تغليبا كقوله تع فسجد الملائكة الا ابليس
ابى وكان من الكافرين ثم سلطه الله تعالى وقبيله اى ذريته وجنوده
على البشر للابتلاء والامتحان فلهم اى للشياطين تأثير في الانسان
ظاهرا بان يزين المعاصي في اعينهم ليقعوا فيها كقوله تع وزين لهم
الشيطان اعمالهم لا بان يتخبطه كما فهم من قوله تعالى يتخبطه الشيطان
من المس لانه وارد على زعم الجهلة ان الشيطان يخبط الانسان
فيصرع وباطنا بان يوسوس في قلوبهم كقوله تعالى يوسوس في صدور
الناس اى في قلوبهم وقوله عم ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى
الدم اى ان كيد الشيطان ووسوسته تسري في الانسان حيث يجري

فيه الدم اى فى جميع عروقه مثل جريان الدم فى اعضائه من غير احساس
بجريانه او معناه ان الشيطان لا ينفك من الانسان ما جرى دمه
فى عروقه اى مادام حيا وقيل يجوز ارادة الحقيقة فان الشياطين
اجسام لطيفة قادرة باقدار الله تعالى على كمال التصرف ابتلاء بالبشر
ويصيرهم الله على اى صورة شاؤا فيوسوسون فى صدور الناس
فبرحمة من الله تع لا يراهم البشر فى صورهم الاصلية لخبثها وكراهتها
وعدم تحمل البشر ثم الصحيح فى تناسلهم انهم يبيضون بيضات فرخا
على معصية بنى ادم فيخرج الولد منها انما قال ثم الصحيح لما ورد فى خبر آخر
ان فى احدى فخذيه فرجا وفى الاخرى ذكرا فيجامع نفسه فيخرج الولد
منه وفى خبر آخر انه يدخل ذكره فى دبره فيخرج الولد منه لكن قيل
هذا غير صحيح وان دل حالهم وافعالهم على خروجهم من ذلك المحل
واما الجن فمخلوق لا يرى لكونه جسما لطيفا كالريح فلا يرى كالشياطين
فى الشكل باى صورة شاؤ ومكلف كالبشر بالشرايع وساير العبادات
وكذا فى التناسل لقوله تع وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
بالايمان الروضة الرابعة فى الايمان بكتبه السماوية المنزلة على رسله
وانبيائه اى يجب الايمان بان جميعها كلام الله تع بلا كيفية منه بدا
قولا بالحقيقة لا بالمجاز والكلام والقول ما يتناول اللفظ والمعنى جميعا
كما يتناول الانسان للروح والبدن جميعا واعلم ان كلام الله واحد
وانما التعدد والتفاوت فى النظم المقروء والمسموع وبهذا الاعتبار

كان

كان الافضل هو القرآن ثم التورية ثم الانجيل ثم الزبور كما ان
القرآن فى معنى الكلام مستوية الفضيلة والعظم الا ان لبعضها
فضيلة الذكر وفضيلة المذكور كاية الكرسى وسورة الاخلاص
فان المذكور فيهما جلال الله وعظمته وصفاته فاجتمع فيه فضيلتان
فضيلة الذكر وفضيلة المذكور وفى قصة الكفار فضيلة الذكر فقط
فبهذا الاعتبار جاز ان يكون بعض السور والايات افضل
قراءة وكتابة بناء على ان فيه ذكر الله اكثر فيكون انفع ثم الكتب ثم
قد نسخت بالقرآن تلاوتها وكتابتها وبعض احكامها وانها خطابات
متعلقة باحوال العباد وافعالهم كالايمان بالله وصفاته والثناء
عليه والتكليف بالامر والنهى والحث على الطاعة بالوعد والوعيد
والاطلاع على مراتب السعداء ومثالب الاشقياء بالقصص والامثال
ونحو ذلك مما فيها اما سماعا منه كسماع موسى عم فى الميقات وادراكه
وفهمه بما ركب الله فيه من القوة على ذلك ولذا سماع نبينا عليه السلام
ليلة المعراج بلا كيف فيه اشارة الى ان كلام الله ليس بمخلوق
اذ كل ما كان محدثا مخلوقا لا يخلو عن الكيفية او بلاغا وحيا او تنزيلا
من الملك المبلغ اى المنزل للتبليغ كانزال التورية على موسى
والزبور على داود والانجيل على عيسى والفرقان على محمد وساير
الصحف على غيرهم من الانبياء عليه وعليهم السلام وهى الكتب
الاربعة السماوية المشهورة التى سماها فى كتابه الكريم وليس للملك

مطلب تفضيل بعض الكتب على الآخر

المبلغ ولا للنبي المنزل عليه تصرف من عند نفسه في شيء من النظم
والمعنى بالتحويل والتغيير بل يبلغان اي الملك الى النبي وهو الى قومه
كما بلغ اليهما وحيا او تنزيلا او سماعا منه بلا كيف وان الله تع كتبا
سواها اي سوى الكتب المذكورة انزلها على انبيائه لا يعلم اسمائها
وعددها الا هو لقوله تع فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل
معهم الكتاب ولم يثبت العدد بدليل قطعي وان وقع في بعض الروايات
انه عم سئل كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب وفي
رواية منها انزلت على آدم عشر صحايف وعلى شيث خمسون صحيفة
وعلى ادريس ثلثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحايف والكتب
الاربعة المذكورة كذا في حواشي شرح العقايد للتفتازاني وامالي
اعتقادات ابي المعين النسفي فلم يذكر آدم عم وقال انزل على
موسى عشر صحايف قبل نزول التورية وقبل غرق فرعون ثم انزل
التورية بعد غرقه ولما تقرر عند اهل السنة والجماعة ان القرآن
غير مخلوق وجرى نزاع ومخالفة بين المعتزلة ومن تبعهم بانه
مخلوق افرده بالذكر ردا عليهم بقوله فالقرآن هو من القرء وهو
الجمع ومنه يقال للحوض المقرء لكونه مجتمع الماء سمي به لجمعه الحروف
والكلمات والسور والايات وغلب في عرف العام على المجموع
من كلام الله فهو اسم للنظم والمعنى وسمي بالفرقان ايضا لكونه فارقا
بين الحق والباطل كلام الله بدلالة اعجازه بكمال بلاغته ولقوله تع

حتى

حتى يسمع كلام الله وقوله يريدون ان يبدلوا كلام الله وقوله عم
هو كلام الله عند قول الكفرة انه كلام محمد من تلقاء نفسه ولاجماع
الامة على ان القران كلام الله وانما عقب القران بكلام الله
مع انه علم من قوله جميعها كلام الله اقتداء لما ذكره المشايخ من انه
يقال القران كلام الله غير مخلوق ولا يقال القران غير مخلوق
لئلا يسبق الى الفهم ان المؤلف من الاصوات والحروف قديم
كما ذهب اليه الحنابلة جهلا او عنادا وقال غير مخلوق مقام غير
حادث تنبيها على اتحادهما واجراء الكلام على وفق الحديث
قال عم القران كلام الله غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فهو
كافر بالله العظيم وتصريحا على محل الخلاف بالعبارة المشهورة بين
الفريقين وهو ان القران مخلوق او غير مخلوق ولذا سميت
المسئلة مسئلة خلق القران ولما كان اقوى شبه المعتزلة ان القران
اسم لما نقل الينا بين دفتي المصاحف تواترا بالاجماع وهو يستلزم
كونه مكتوبا في المصاحف مقروا بالالسن مسموعا بالاذان وكل ذلك
من سمات الحدوث بالضرورة اشار الى الجواب بقوله وهو اي
القران الذي هو كلام الله مكتوب في المصاحف اي باشكال
الكتابة وصور الحروف الدالة عليه محفوظ في القلوب اي بالالفاظ
المخيلة مقروء بالالسن اي بالحروف الملفوظة مسموع بالاذان
بذلك ايضا لكنه غير حال فيها اي مع ذلك ليس حالا في المصاحف

ولا في القلوب والالسنة والاذان كما يقال النار جوهر محرق تذكر
بالالفاظ وتكتب بالقلم ولا يلزم منه كون النار صوتا وحرفا وحالا
فيما تذكر وتكتب فيه وتحقيقه ان للشئ وجودا في الاعيان اى الخارج
ووجودا في الاذهان ووجودا في العبارة ووجودا في الكتابة فالكتابة
تدل على العبارة وهي على ما في الاذهان وهو على ما في الاعيان فحيث
يوصف القران بما هو من لوازم القديم كما في قولنا القران غير مخلوق
فالمراد به الحقيقة الموجودة في الخارج عن الاذهان وحيث يوصف
بما هو من لوازم المخلوقات والمحدثات يراد به الالفاظ المنطوقة
المسموعة كما في قولنا حفظت القران او يراد به الاشكال المنقوشة
كما في قولنا يحرم للمحدث مس القران وما فيه اى في القران حكاية عن
موسى وفرعون وغيرهما فهو كلام الله اخبارا عنهم وتكلمنا به اى
بالقران وقراءتنا وكتابتنا اياه وكلام موسى وغيره من المخلوقين
مخلوق لما ترم ان العبد بجميع افعاله مخلوق فمن زعم انه اى القران
كلام البشر فقد كفر لما فيه من تكذيب الرسول وهو كفر والنصوص
من الكتاب والسنة المراد من النص هٰهنا كل ملفوظ مفهوم المعنى
من الكتاب والسنة فيعم اقسام النظم على ما هو المتعارف فان غالب
ما ورد منهما نص تحمل على ظواهرها ما لم يمنع دليل قطعي عن حملها على
ظاهرها كما في الايات والاحاديث التي يشعر ظواهرها بالجهة والجسمية
ونحو ذلك حيث يمنعها دليل قطعي كقوله تع ليس كمثله شئ ونحو ذلك

والعدول عنها اى عن الظواهر المنصوصة عند المفسرين الى معان
موهومة يدعيها اهل الباطل وهم الملاحدة وسموا الباطنية لادعائهم
ان النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنية لا يعرفها
الا المعلم وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية الحاد اى ميل
وعدول عن الاسلام واتصال بالكفر لكونه تكذيبا للنبي عم فيما
علم مجيئه به بالضرورة واما ما ينكشف على ارباب السلوك من
صلحاء العلماء مع الظواهر المرادة من اشارات خفية الى دقايق
لطيفة يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر فهو من كمال الايمان ومحض
العرفان وردها اى رد النصوص بان ينكر الاحكام التي دلت
عليها النصوص القطعية من الكتاب والسنة كحشر الاجساد
وبراءة عايشة رضي الله عنها مثلا كفر لكونه تكذيبا صريحا لله ولرسوله
والاستهزاء عليها اى على النصوص وعلى الشريعة النبوية واستحلال
المعصية صغيرة كانت او كبيرة بعد ثبوت كونها معصية بدليل
قطعي والاستهانة بها اى الاستخفاف بالنصوص والشريعة والمعصية
كفر لان ذلك اى ما ذكر من الاستهزاء على النصوص وردها واستحلال
المعصية والاستخفاف بها من امارات التكذيب وعلاماته ويتفرع
على هذا كثير من المسائل منها ما ذكر في الفتاوى ان احدا اذا اعتقد
الحرام القطعي الذي كان حرمته لعينه حلالا يكفر واما ان كان حرمته
لغيره او ثبت بدليل ظني فلا يكفر وعند البعض لا فرق بين الحرام

لعينه ولغيره بل لو استحل حراما علم تحريمه في دين النبي عم كنكاح المحارم
وشرب الخمر واكل الميتة والدم والخنزير من غير ضرورة يكفر وفعل
هذه الاشياء بدون الاستحلال والاستخفاف فسوق ومن استحل شرب
النبيذ الى ان يسكر كفر واما لو استحل وطى امراته الحايض فقد قيل
يكفر وقيل لا وهو الصحيح واما استحلال اللواطة بامراته فلا يكفر على
الاصح ومن وصف الله تع بما لا يليق به كالنوم والاكل والشرب
ونحوها او سخر باسم من اسمائه او بامر من امره او انكر وعده او وعيده
يكفر وكذا لو تمنى ان لا يكون نبي من الانبياء استخفافا او عداوة
وكذا لو ضحك على وجه الرضا ممن تكلم بالكفر وكذا لو جلس على مكان
مرتفع وحوله جماعة يسئلونه مسائل ويضحكون ويضربونه بالوسايد
ونحوها يكفرون جميعا وكذا لو امر رجلا ان يكفر بالله او عزم على ان
يامره يكفر وكذا الوافتى لامراة بالكفر لتبين وكذا الو صلى بغير القبلة
وان وافق وكذا لو صلى بغير طهارة متعمدا وكذا لو اطلق كلمة الكفر
استخفافا لا اعتقادا يكفر في الكل لان كل ذلك من علامات التكذيب
الى غير ذلك من الفروع واليأس من الله اى من رحمته والامن من
عذابه وسخطه كفر لقوله تع لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
وقوله تع ولا يأمن مكر الله اى عذابه الا القوم الخاسرون كما مر في آخر
الروضة الاولى فلا يجوز للمؤمن العاصي ان ييأس من ان يوفقه
الله للتوبة والعمل الصالح وكذا للمطيع ان يأمن من ان يخذله الله تع

فيكتسب

فيكتسب المعاصي لان الانسان يتقلب في مشية الله وارادته
بين فضله وعدله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والله على كل
شئ قدير **الروضة الخامسة** الايمان برسله اى في وجوب الايمان
بان الله تعالى ارسل رسلا من البشر الى البشر لان القوة البشرية
لا تقوى على رؤية الملك في صورته كما مر وانما رآهم كذلك الافراد
من الانبياء بقوتهم القدسية كقوله تع ولو انزلنا ملكا لقضي الامر
ثم لا ينظرون اى بعد نزوله طرفة العين فضلا ورحمة اشارة
الى الرد على من زعم ان ارسال الرسل واجب على الله تع وعلى
من زعم ان لا حاجة الى ارسالهم لكفاية العقل مبشرين لاهل
الايمان والطاعة بالجنة والثواب ومنذرين لاهل الكفر والعصيان
بالنار والعقاب فان ذلك مما لا طريق للعقل اليه
وان كان فبانظار دقيقة لا يتيسر لكل احد لغاية صعوبته وقال تع
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا
عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة الاية مبينين للناس
ما يحتاجون اليه من امور الدنيا والدين لان الله تع خلق الجنة والنار
واعد فيهما الثواب والعقاب فطريق الوصول الى الاول والا
والاحتراز عن الثاني مما لا يستقل به العقل وكذا خلق الاجسام
النافعة والضارة ولا استقلال للعقل والحواس بمعرفتهما وكذا
من القضايا ما هو ممكن لا طريق الى الجزم باحد جانبيه ومنها ما هو

واجب وممتنع لا يظهر للعقل الا بعد نظر دائم وبحث كامل بحيث لو
اشتغلوا به لتعطل اكثر مصالحهم فكان من فضل الله وكرمه ارسال
الرسل لبيان ذلك وان كان في اصل عقولهم في الجملة امكان
الوقوف على ذلك والى هذا اشار بقوله لتفاوت عقولهم واختلاف
نفوسهم وفيه اشارة الى بيان حكمة ارسال الرسل واحتياج الناس
اليهم مع ما ركب فيهم من اللذات والشهوات العايقة عن
تحصيل ما به الفوز والنجاة والصارفة عن التحرز من اكتساب
السيئات فان طبقات الناس اقسام ثلثة احدها فرقة موصوفة
برجاحة العقل وجودة الخاطر وحدة الاذهان وهي المتفرغة لطلب
الوقوف على ما به الفوز بالسعادة الابدية والوصول الى مرضاة
خالق البرية بالتامل والتفكر والبحث عن الحقايق وصرف همهم الى
استخراج ودايع العقول وخزاين العلوم والقسم الثاني ايضا فرقة
موصوفة برجاحة العقول وجودة الخواطر لكنها مشتغلة باكتساب
اسباب المعاش معرضة عن التامل في المعالم النظرية راضية
لانفسها بدرجات البهايم لاقتصارها على استجلاب اللذات
الحاضرة العاجلة مقبلة على تكثير الاموال غافلة عن السعادة الاجلة
والقسم الثالث فرقة موصوفة بغلظ الافهام وبلادة الخواطر
وغباوة الاذهان خالية عن التامل والروية جاهلة بالكمالات
الدنيوية والاخروية فرحمة الله وتفضله في ارسال الرسل نعم

جميع

جميع الاقسام اما الاول فبايضاح كيفية الاستدلال على مقاصدهم
وتسهيل الوصول الى مآربهم والثاني فبايقاظهم عن الغفلة في
انهماك اللذات والشهوات بالدعوة والنصيحة والوعد والوعيد
والثالث فبتخفيف المؤنة عنهم بكشف ما يشكل عليهم فهمه وايضاح
ما يخفى علمه واثبات طريق الوصول وارشادهم الى الحصول كما قال
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فمن هؤلاء من ثبت
في حقه معجزة الرسول بالمشاهدة او بالنقل المتواتر الذي يضاهي
بها كان قول الرسول في حقه طريق الوصول الى ثبوته عنده وان
لم يوجد منه الاستدلال العقلي فمن لم يرض بهذا واشترط في كل
شيء استدلال العقل واستقلاله واستغنائه عن بعثة الرسل
والانبياء فقد عارض الله تعالى في حكمته ونازعه فيما انعم الله
على عباده من اثار رحمته قال الله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل اي بان قالوا لولا ارسلت الينا
رسولا فيبيننا ويعلمنا ما لم نكن نعلم ففيه تنبيه على ان بعثة
الرسل الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات
المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها ويجب الايمان بان
كلهم صادقون فيما جاؤا به من عند الله وفيما شرعوا العباده
معصومون بفضل الله عن المعاصي عمدا بالاجماع خصوصا عن
الكفر قبل الوحي وبعده والكذب فيما يتعلق بامر الشرايع

معصومون

وتبليغ الاحكام وعن تعمد الكبائر عند الجمهور خلافا للحشوية بخلاف
تعمد الصغائر واما السهو فيما تجوزه الاكثرون الا ما يدل على الخسة
كسرقة لقمة والتطفيف بحبة ونحوهما لكن المحققين اشترطوا
ان ينبهوا عليه فينتهوا عنه هذا كله بعد الوحي واما قبله فقيل
لا دليل على امتناع صدور الكبيرة غير الكفر مصونون عن
التبديل بالعزل او الانعزال والتحريف فيما امروا بتبليغه
لوجوب الاتباع بهم في كل ما جاؤا به فلو جاز التبديل والتحريف
لزال وجوب الاتباع لعروض الشبهة ولانهم مؤيدون بالوحي
والمعجزات وارسال الملائكة اليهم وانزال الكتب عليهم
لا فرق لاحد منهم في ذلك اي فيما ذكر من صفاتهم فكلهم بلغوا
وبينوا جميع ما ارسلوا به على امر الله تعالى لا يظن بهم الاهمال.
والمساهلة فضلا عن الخيانة فانهم امناء الله تعالى على خلقه وهم
اي الرسل والانبياء الذين سماهم في كتابه اي في القران قال
البيضاوي في تفسيره ان المذكور في القران باسم العلم ثمانية وعشرون
وقال السيوطي في نقايته خمسة وعشرون وعدهم بقوله وهم آدم
ونوح وادريس وابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف
ولوط وهود وصالح وشعيب وموسى وهارون وداود
وسليمان وايوب وذو الكفل ويونس والياس واليسع وذكريا
ويحيى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وله رسل

وانبياء

وانبياء سواهم لا يعلم عددهم واسماءهم الا هو فيجب الايمان بجملتهم
ولا يقتصر على عدد في التسمية لانه لا يؤمن في ذكر العدد ان يدخل
فيهم من ليس منهم ان ذكر عدد اكثر من عددهم او يخرج منهم من
هو منهم ان ذكر عدد اقل من عددهم لقوله تعالى ومنهم من قصصنا
عليك ومنهم من لم نقصص عليك واما ما روي في بعض الاحاديث
ان النبي عم سئل عن عدد الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون
الفا وفي رواية مائتا الف واربعة وعشرون الفا وقال البيضاوي
عن كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون
الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر فلا يفيد اليقين لان خبر
الواحد على تقدير اشتماله على جميع شرائط الرواية لا يفيد الا الظن
ولا عبرة بالظن في باب الاعتقادات خصوصا اذا اشتمل على
اختلاف رواية مع مخالفته لظاهر الكتاب ولما دلت الروايات
على ان الانبياء اكثر من الرسل شرط بعضهم الكتاب مع الرسول
واليه اشار بقوله والرسول انسان من اولياء الله بعثه الله بعد
التحلي والاتصاف بكمالات الولاية والكرامة الى الخلق يشمل الانس
والجن مع كتاب سواء انزل عليه اولا وامر بتبليغه ولو با
بالنسبة الى قوم آخرين او على غيره ممن قبله وامر هو بتنفيذه
في قومه وحثهم على ما فيه وبهذا يندفع ما قيل ان الرسل ثلثمائة
وثلثة عشر والكتب مائة واربعة فلا يصح الاشتراط واما تخصيص

بعضها ببعض الانبياء في الروايات على تقدير صحتها فلنرز وله
عليه قولا والهام وهو القاء معنى في القلب بطريق الفيض اى بلا
كسب واستعانة فمن غير النبي ليس بحجة عند العلماء الا عند الصوفية
والاعلام اعم من الهام اذ قد يكون بطريق الاستعلام لتبليغ الاحكام
مما اوحى اليه يؤيده قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
والنبي من اوحى اليه بعد التحلي المذكور بملك جبريلا كان اوغيره
والهم في قلبه او نبه بالرؤيا اى الصالحة سواء كان معه كتاب اولا
فالنبي اعم يؤيده قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
ولا نبي الاية والرسول مختص بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة
فكل رسول نبي بغير العكس والولي ضد العدو ومن الولي وهو القرب
فالولاية بالفتح والكسر ضد العداوة وقيل بالكسر الامارة وادنى
الولاية التقرب الى الله بالايمان بالله لقوله تع الله ولي الذين
امنوا الاية فالمؤمنون مطلقا اولياء الله واما كمال الولاية فهو التقرب
الى الله بالايمان والتقوى فاولياء الله الكاملون هم الموصوفون
في قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين
امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة الاية وقوله
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وهم قسمان
مقتصدون وهم الذين يتقربون الى الله تع بالفرايض من اعمال
القلوب والجوارح والسابقون وهم الذين يتقربون الى الله بالنوافل

بعد

بعد الفرايض وعليه ما جاء في الحديث يقول الله لا يزال عبدي يتقرب
الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سالني
لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه الحديث وفي التحقيق ان اولياء
الله اولاهم الانبياء ثم المؤمنون المتقون ولكن الولي لما غلب العرف
على مؤمن عالم صالح بحيث يظهر على يده الكرامة غالبا اشار اليه
بقوله هو العارف بالله وصفاته حسب ما يمكن علمه في الطاقة البشرية
المواظب اى الملازم على الطاعات للتقرب الى الله بالفرايض والنوافل
المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات
وهذا يشمل النبي والرسول ايضا فكل نبي ورسول ولي بغير عكس
والنبوة عطية من الله وليست بمكتسبة بل جعلها الله فيمن يشاء
من عباده على ما اقتضته حكمته فلا يقدر احد ان يكون نبيا من عند
نفسه وان بلغ بالعبادة مرتبة الولاية لقوله تع الله اعلم حيث يجعل
رسالته اى هو اعلم بالمكان الذي يضعها فيجتبي لها من علم
انه يصلح بها ولا تثبت اى النبوة والرسالة الا باظهار المعجزة
وهي اظهاره اى اظهار النبي بعد ادعائه النبوة امرا يشمل الاثبات
والمنع كمنع النار من الاحراق ونحوه خارقا للعادة كاظهار نبينا
عليه الصلوة والسلام القران وغيره مع التحدي اى طلب المعارضة
باتيان مثله من المنكرين فيخرج الكرامات لانها لا تكون مع الدعوى

والتحدى بلا معارضة يخرج السحر والشعبذة فان معارضة السحر
ممكن بتعلم علم السحر بخلاف المعجزة ولقد احسن من قال ان السحر ليس
من الخوارق وان اطبق القوم عليه لانه مما يترتب على اسباب كلما
باشر احد يخلق الله عقيبها البتة فيكون من ترتب الامور على اسبابها
كالاسهال بعد شرب السقمونيا الا يرى ان شفاء المرضى بالدعاء خارق
وبالادوية الطبية غير خارق تصديقاله يخرج الخارق المكذب كان
يدعى نطق طفل اونحوه بتصديقه فنطق بتكذيبه كما روى ان
مسيلمة الكذاب دعا لاعوران يصير عينه العوراء صحيحة مدعيا به
النبوة فصارت عينه الصحيحة عوراء و **اعلم** ان الامر الخارق
للعادة انواع فالذى ظهر من الانبياء قبل البعثة او بعدها بلا قصد
التحدى اى بلا قصد التصديق والمعارضة للمنكرين كرامة ارهاص
اى يسمى كرامة ارهاص وهو ما يظهر من الخوارق عن نبى قبل ظهور
نبوته اما كونه كرامة فلان مرتبة الانبياء لا يكون ادنى من مرتبة
الاولياء وغيرهم واذا كان خوارق الاولياء كرامة فخوارق الانبياء
بالطريق الاولى تكون كرامة فانهم مكرمون بمرتبتين الولاية والنبوة
واما كونه ارهاصا فلانه يكون تاسيسا لنبوته من ارهصت الحائط
اذا اسسته ثم بعدها اى ظهر بعد البعثة من الخوارق معه اى مع قصد
التصديق والتحدى كرامة معجزة اما كرامته فظاهر واما كونه معجزة
فلاعجازه المنكرين بالقصد والمعارضة وارغامهم ومن الاولياء

اى

اى من الاتقياء الذين ليسوا بانبياء فما يظهر منهم من الخوارق بلا قصد
ودعوى كرامة ولاية وليست بمعجزة بالنسبة الى الولى الذى ظهرت
على يده وان جاز ان تكون معجزة بالنسبة الى نبيه الذى ينتمى اليه
ويكون من امته كما سيصرح بذلك وكراماتهم حق بالكتاب صرح به
ردا على من انكر كرامات الاولياء كالمعتزلة وغيرهم زعما منهم ان لو
جاز ظهور خوارق العادات من الاولياء الذين ليسوا بانبياء
لاشتبه بالمعجزة فلم يتميز النبى عن غير النبى ولا يخفى بطلان زعمهم فان
الاشتباه انما يلزم عند ادعائه الرسالة لنفسه وهو مستحيل لانه
متدين مقر بنبوة نبيه وعند عدم الادعاء لا اشتباه لانه كرامة ولاية
له ومعجزة لنبيه مجازا كما سيجئ وثبوتها بالكتاب نحو قصة مريم فانه
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى
لك هذا قالت هو من عند الله ولا خفاء فى ان ظهور الطعام
والشراب ونحوها عند الحاجة من غير كسب وقصد كرامة ولاية فان
مريم ما كانت نبية وكذا قصة اصحاب الكهف وتكلم كلبهم وغير ذلك
والتواتر اى تعاقب الاخبار وتواليها على السنة قوم يحيل العقل
توافقهم على الكذب كما نقل رؤية عمر رضه وهو بالمدينة على المنبر
جيشه بنهاوند ونداؤه لامير جيشه بقوله يا سارية الجبل الجبل
تحذيرا من وراء الجبل من مكر العدو وفيه كسماع سارية كلامه
مع بعد المسافة وكما نقل عن جعفر بن ابى طالب من الطيران فى

في الهواء وكذا من لقمان السرخسي رضه عنهما ونحوها مما لا يحصى وتما
عدّ قوم الارهاصات والكرامات من المعجزات على سبيل التشبيه
بناء على اشتراكها في الدلالة على حقيقة النبوة لا على انها معجزة حقيقة
قال فظهورها اي ظهور الكرامة لواحد من اولياء الامة تاكيد
بنبوة رسوله الذي ينتمي اليه ومعجزة له اي لرسوله لانه بها يظهر انه
ولي لان مرتبة الولاية لاحاد الامة لا تكون الا بالديانة وهي اعتقاده
واقراره بنبوة رسوله مع متابعته اياه حتى لو ادعى ذلك الولي
الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن وليا ولم يظهر ذلك على
يده على سبيل الكرامة والولاية بل لو ظهر شيء من الخوارق لظهر منه
على سبيل الاستدراج كما يجيء فكل معجزة كرامة بغير عكس اي ليس
كل كرامة معجزة حقيقة وبهذا اتضح الفرق بين النبي والولي
فان النبي من يدعي المعجزة والكرامة ويتحدى بها الخلق فيقول انه
نبوتي ورسالتي كذا وكذا والولي من لا يدعي الكرامة وانما تظهر على
يده من غير قصد ودعوى بل لو ادعاها لسقط عن رتبة الولاية
وما قد يظهر من الخوارق من عوام المؤمنين الذين مرتبتهم ليست
بمرتبة الاولياء الكاملين تخليصا لهم من المحن والمكاره فكرامة
معونة اما كونه كرامة فلظهوره بسبب ايمانه وحسن اعتقاده
واما كونه معونة فظاهر ومن فاسق اي الخارق الذي قد يظهر
من مؤمن غير صالح كبعض الفسقة والكهنة من اولياء الشيطان

اوكافر

اوكافر مطلقا اي سواء كان بقصد ودعوى اولا استدراج وهو
تقريب الله العبد الى العقوبة بالتدريج فان الله تع يقضي حاجات
اعدائه استدراجا وعقوبة فيغترون به ويزدادون طغيانا وكفرا
وقيل الاستدراج ان يرفع الشيطان انسانا درجة درجة الى مقام
عال في العمل ثم يسقطه من ذلك المقام حتى يهلك ان وافق
غرضه اي ان وافق ذلك الامر الخارق غرض مرتكبه مما يدعيه من الولاية
او النبوة او الالوهية كالدجال ونحوه والا اي وان لم يوافق غرضه
بان ظهر على خلاف مراده كما مر من مسيلمة الكذاب فاهانة وهي
ظاهرة هذا على قول من خص الاستدراج بالموافقة اما على قول من
قال الاستدراج ان يقرب الشيطان انسانا الى فساد على التدر
حتى يفعله سواء وافق مراده اولا وعاقبة ذلك ندامة وهلاك
فيندرج فيه الاهانة واما ما يظهر من الخوارق ونوع من مكاشفة
من نحو المجانين اي منهم ومن نحوهم كبعض من البله مع تركه متابعة
الرسول في اقواله وافعاله واحواله ومثله الطائفة الملامية وهم
الذين يفعلون ما يلامون عليه ويقولون نحن متبعون في الباطن
فاحوال شيطانية مطلقا اي خيرا كان او شرا او بقصد اولا فانه
لا يعد كرامة لانها انما تصدر من العقلاء الذين ارشدتهم عقولهم
بهداية الله الى الايمان والاعمال الصالحة بالديانة والتقوى ونفي
الهوى ومتابعة خير الورى ظاهرا وباطنا ولا استدراجا واهانة لانه

مطلب استدراج

بج

لفة

لا يراد بذلك تعذيبهم واهانتهم لانهم غير مكلفين فظهر انه حالة
شيطانية يظهرها منهم لافساد اعتقادات الخلايق كما ان
الاستدراج والاهانة ايضا من احواله يعين في اظهارها على يد اولياء
لاهلاكهم واغوائهم نعوذ بالله تع من شره ومن شر ذريته واتباعه
فينبغي للعاقل ان يحصل الشعور بالفرق بين اولياء الرحمن واولياء
الشيطان لئلا يظن ان كل خارق ومكاشفة كرامة ولهذا اطنبنا
الكلام في هذا المقام فانه من مزالق اقدام العقول والافهام من الخواص
والعوام وبالله الاعتصام وفي هذا المعنى زيادة تفصيل في كتابنا
نور اليقين واذا تقرر ان النبوة فوق الولاية المجردة فلا يبلغ
ولي درجة الانبياء لما تقرر ان كونه وليا انما يتحقق بالديانة وهي
اتباعه لنبي من الانبياء واقتداؤه به في طاعة الله فيستحيل ان
يكون مثله فضلا عن ان يكون افضل لانهم عليهم الصلوة والسلام
معصومون عن العزل وسقوط المرتبة وكسب المعاصي قصدا امونون
عن خوف سوء الخاتمة بخلاف الاولياء فان منهم من تواتر ختمه
على الكفر كبلعم بن باعورا وبرصيصا ونحوهما ممن انقلب من السعادة
الى الشقاوة بخلاف الانبياء فانهم مكرمون بالوحي ومشاهدة الملك
مامورون بتبليغ الاحكام وارشاد الانام بعد الاتصاف بكمالات
الاولياء بل يقال نبي واحد افضل من جميع الاولياء هذا رد
على بعض الاتحادية في زعمهم ان من الولاية ما هو اعظم من النبوة

وان الانبياء والرسل يستفيدون من الولاية ويأخذون العلم
بالله من مشكاة خاتم الاولياء وفيه ايضا ابطال بقول بعض المتصوفة
الضالة ان من بلغ اقصى درجة اهل الولاية والمعرفة كان افضل
خلق الله وقول بعض الغلاة في تفضيلهم بعضا من الائمة على
الانبياء وبطلانه ظاهر لما ان الله تع اوجب على الخلق كلهم متابعة
الانبياء والرسل كقوله تع وما ارسلنا من رسول الا ليطاع
باذن الله لقوله تع وكلا فضلنا على العالمين اي بالنبوة فهذا دليل
فضلهم على من عداهم من الخلق والمؤمنون كلهم اولياء الرحمن بسبب
تقرب الايمان كما مر لقوله تع الله ولي الذين امنوا بان الله مولى
الذين امنوا والكافرين لا مولى لهم واكرمهم اي اولاهم بالاكرام عند الله
اتقاهم اي مراتبهم في الكرامة والولاية بحسب مراتبهم في التقوى
واتبعهم في القران لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولقوله عم
لا فضل لعربي على عجمي ولعجمي على عربي ولا لابيض على اسود
ولا لاسود على ابيض الا بالتقوى الناس من ادم وادم من
تراب ففي الحديث على ضعف التنازع في مسئلة الفقير الصابر
والغني الشاكر وترجيح احدهما على الاخر فالاتقى من المؤمنين
هو اطوعهم لله واتبعهم للقران فقيرا كان او غنيا والاتقى هو
الاكرم والافضل ولا يصل المكلف اي العبد المكلف ما دام
عاقلا بالغا الا يصل الى حيث يسقط عنه الامر والنهي هذا رد

على بعض المباحيين حيث زعموا ان العبد اذا بلغ غاية المحبة
وصفي قلبه واختار الايمان على الكفر من غير نفاق يسقط عنه الامر
والنهي ولا يدخل النار بارتكاب الكبائر وبعضهم ذهب الى انه
يسقط عنه العبادات الظاهرة ويكون عبادته التفكر وهذا كفر
وضلال لعموم الخطاب الوارد في التكليف واجماع اولى الالباب
الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين على ذلك ولانه لا يخفى
ان اكمل الناس في المحبة والايمان هم الانبياء خصوصا حبيب الله
مع ان التكاليف في حقهم اتم واكمل واما قوله عم اذا احب الله عبدا
لم يضره ذنب فمعناه يعصمه الله من الذنوب فلا يلحقه ضررها
ولم يكن نبيا عبد ولا انثى ولا كذاب لان الرق اثر الكفر فلا يجوز ان
يتصف النبي به ولقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
يوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون دليل على عدم نبوة
النساء ولان من شرط النبوة كمال العقل والدين وهو مفقود في
النساء لقوله عم هن ناقصات العقل والدين ولقول علي رضه
لو كانت الخلافة تصلح لامرأة لكانت عايشة رضه عنها تستحق
الخلافة فاذا كانت الخلافة كذلك فالنبوة بالطريق الاولى
ولوجوب تصديق النبي بخلاف الكذاب فان تصديقه غير لازم
وما نقل عن بعضهم اي في حق بعض الانبياء مما يشعر بكذب كما في
اخوة يوسف عم او معصية كاكل آدم شجرة بعد النهي وقتل موسى

قبطيا

قبطيا ونحوها ان كان منقولا بطريق الاحاد لا بطريق التواتر
فمردود لا عبرة به كما قيل في داود عم انه طمع في امرأة شخص
فارسله الى الحرب ليموت قيل هذا افتراء الحشوية وان كان منقولا
بالتواتر فمصروف عن ظاهره اي بطريق سلب الذنب عن الانبياء
باي وجه كان ان امكن سلب الذنب بوجه من الوجوه والا اي
وان لم يمكن سلب الذنب عنهم اصلا فمحمول على كونه قبل البعثة
كما في ادم واخوة يوسف عم بدليل قوله تع في ادم ثم اجتباه
ربه او على ترك الاولى كما في قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت
لهم فانه محمول على ترك الاولى واولوا العزم اي اصحاب الثبات
والاجتهاد وقيل الصابرون على بلاء الله بالرضاء وعدم التشكي
منهم اي من الرسل وفيهم اقوال احسنها ما نقله البغوي وغيره عن
ابن عباس وقتادة رضه عنهم من انهم نوح وابرهيم وموسى
وعيسى ومحمد عليهم السلام قال وهم المذكورون في قوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم
وموسى وعيسى بن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرايع
وقدم نبينا عم تعظيما وقوله تع شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى
ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا ولا جزم اي لا قطع في الحكم بالنفي
والاثبات بنبوة ذي القرنين قيل اسمه عبد الله واختلف في

نبوته روی عن عبد الله بن عمر بن ضحاک بن مزاحم انه كان
نبيا وروی عن علی رضه انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا ولا
ملكا وقال وهب انه كان ملكا ولم يوح اليه وحی الارسال بل وحی
الالهام بقوله تع قلنا يا ذا القرنين وقيل هو اسكندر سمی بذی القرنين
لانه سار الی مغرب الشمس ومطلعها وقيل رای فی المنام انه اخذ
بقرنی الشمس فقص علی قومه فسمی بذلك وقيل انقرض فی زمانه قرنان
من الناس وهو حی واختلف فی زمانه ايضا قيل كان بعد نمرود وكان
عمره الفا وستمائة سنة وقال وهب كان فی الفترة بين عيسی ومحمد
عليهما الصلوة والسلام ولقمان اختلف فيه ايضا قال سعيد بن مسيب
ومجاهد وقتاده رضه عنهم انه كان حكيما وليس بنبی وحملوا الحكمة
فی قوله تع ولقد آتينا لقمان الحكمة علی الفهم والعقل وقال الشعبی
وعكرمة والسدی رحمهم انه نبی فعندهم المراد بالحكمة النبوة وقال
بعض المفسرين الاصح الاول واختلفوا فی صناعته فقال سعيد بن
مسيب انه كان خياطا وقال ابن يزيد انه كان راعيا وقال خالد
الربعی انه كان نجارا وروی انه كان تلميذ الف نبی للاختلاف
فی نبوتهما ولما كان نبوتهما مختلفا فيهما من غير ترجيح احد الجانبين
فالسكوت عن المجادلة اولی لانها فی المشكوك غير مفيدة علی انها
حرام اذا لم تكن لاظهار الصواب واول الانبياء ادم عم ثبت
كونه نبيا بالكتاب وهو قوله تع يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة

وقوله

وقوله ولا تقربا هذه الشجرة وقوله ان الله اصطفی ادم ونوحا وقوله
ثم اجتباه ربه والاصطفاء والاجتباء والامر والنهی بلا واسطة
للتبليغ يستلزم النبوة مع القطع بانه لم يكن فی زمانه نبی وكون
حوی امته له كاف فی ثبوت اصل النبوة واما كونه اولا فللقطع
بانه ابو البشر اذ هو اول من وجد من نوع الانسان فلم يكن
قبل وجوده انسان فضلا عن ان يكون نبيا والسنة ای باحاديث (وبث)
الدالة علی نبوته والاجماع الی يومنا هذا واخرهم ای اخر الانبياء
نبينا محمد صلی الله عليه وسلم كذلك ای بالكتاب والسنة والاجماع (ع)
لقوله تع وما محمد الا رسول وقوله ولكن رسول الله وخاتم النبيين
وقوله عم لا نبی بعدی وعليه الاجماع وافضلهم ايضا ای بالكتاب
والسنة والاجماع لقوله تع كنتم خير امة الاية ولا شك ان خيرية
الامة بحسب كمالهم فی الدين وذلك تابع بكمال نبيهم الذی
يتبعونه وقوله عم انا اكرم الاولين والاخرين وروی مسلم ان
رسول الله قال فضلت علی الانبياء بست اعطيت جوامع
الكلم ونصرت بالرعب واحلت لی الغنائم وجعلت لی الارض
طهورا ومسجدا وارسلت الی الخلق كافة وختم بی النبيون وقوله
انا سيد ولد ادم يوم القيمة واما قوله لا تفضلونی علی موسی
فان الناس يصعقون يوم القيمة فاكون اول من يفيق فاجد
موسی باطشا بساق العرش فلا ادری هل افاق قبلی او كان

ممن استثنى الله فسبه قال يهودي في كلامه لا والذي اصطفى موسى
على البشر فلطمه مسلم وقال اتقول هذا ورسول الله بين اظهرنا
فجاء اليهودي واشتكى من المسلم الذي لطمه فقال رسول الله عم
هذا لان التفضيل اذا كان وجه الحمية والعصبية وهوى النفس كان
مذموما فان الله تع ذم الفخر والا فقد قال الله تع فضلنا بعضهم
على بعض وقال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض فنعلم ان
التفضيل انما هو مذموم على وجه الفخر او على وجه الانتقاص بالمفضول
وعلى هذا يحمل قوله عم لا تفضلوني على الانبياء ان كان ثابتا وهو
مبعوث الى جميع الانس والجن فيه رد على من زعم انه مبعوث
الى العرب او الى البشر فقط لقوله تع وما ارسلناك الا كافة للناس
دليل بعثه الى جميع الناس وقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان خطاب
للانس والجن دليل بعثه الى الجن والانس وكذا سورة الجن دليل
بعثه اليهم وقيل تعميم رسالته جميع الناس دليل على تعميمها جميع
الجن ايضا اذ الجن كالتبع للناس في تسخير الله العالم للبشر ومعراجه
هو مفعال من العروج وهو الآلة يعرج ويصعد به بمنزلة السلم
لكن لا نعلم كيف هو فحكمه كحكم غيره من المغيبات نؤمن به ولا نشتغل
بكيفيته والمراد عروجه عم الى السماء وقد انكره الكفرة كل الانكار
بل كثير من المسلمين قد ارتدوا بسبب ذلك رد على المنكرين في
اليقظة رد على من زعم ان المعراج كان في المنام بناء على اختلاف

بعض

بعض الروايات بشخصه رد على من زعم ان ما كان عروجه بروحه
لا بشخصه وجسده الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس اولا
اظهار الصدق دعوة الرسول المعراج حين سألته قريش عن
نعت بيت المقدس واخباره عيرهم التي مر عليها في طريقه ولو
كان عروجه الى السماء اولا لما حصل ذلك اذ لا يمكن اطلاعهم على
ما في السماء لو اخبرهم عنه وقد اطلعوا على بيت المقدس فاخبرهم
بنعته ثابت بالكتاب وهو قوله تع سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الاية فيكفر جاحده فالى السماء
وما شاء من العلا بالخبر المشهور ولذا يكون منكره مبتدعا ضالا فيه
رد على من زعم انه كان الى المسجد الاقصى دون فوقه وقد قال النبي
عم اتيت بالبراق وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون البغل
يضع حافره عند منتهى بصره فركبته حتى اتيت بيت المقدس الى ان
قال ثم عرج بنا الى السماء الحديث فانكاره وادعاء استحالته
انما يبتني على اصول الفلاسفة والا فالخرق والالتئام على السموات
جائز عند اهل السنة لان الاجسام متماثلة يصح على كل واحد
ما يصح على الآخر فالله تعالى قادر على الممكنات كلها والحق ان قيام
السماء على الهواء مع عظمها وسعتها بغير علاقة ولا عماد بقدرة الله
وقيام السحاب الثقال الكثيف وعليها بحور الماء على متن الهواء
وهو شيء لطيف لا يحتمل ان يكون مقر الشيء كثيف وبحور الماء

شيء نقيل من شأنه النزول والتسفل دليل قوي على جواز المعراج
عند العقل فاذا تأيد بالنقل المتواتر عمن لا يجوز الكذب منه وجب
الايمان والاعتقاد بحقيقته وقوله من العلا اشارة الى اختلاف
اقوال الصحابة فقيل الى الجنة وقيل الى العرش وقيل الى ما فوق العرش
وقيل الى طرف العالم اي سدرة المنتهى والحاصل ان الاسراء من
المسجد الحرام الى بيت المقدس قطعي فانكاره كفر ومن الارض
الى السماء وما فوقها الى ما شاء الله مشهور فانكاره الحاد وضلال
ثم في رؤيته عم ربه في المعراج اختلاف والصحيح انه عم انما رأى
ربه بفؤاده لا بعينه واختلف ايضا في ان معراجه وقع مرة
او مرتين او اكثر فقيل هذه الاشتباه ضعفاء اهل الحديث والا
فالذي عليه ائمة النقل من الثقات وهو الصحيح انه كان مرة واحدة
بمكة بعد البعثة قبل الهجرة لسنة وقيل بسنة وشهرين كذا قال
ابن المعز في شرحه لعقايد الطحاوي نقلا عن ابن عبد البر وشرعه
بلا نسخ باق الى يوم القيمة اي زمان قريب منه فان القيمة انما
تقوم على قوم لا يكون لهم دين ولا شريعة كما سيأتي فيه ابطال لمذهب
اصحاب يزيد بن ابينة حيث زعموا ان الله سيبعث رسولا من
العجم وينزل عليه كتابا كتبه في السماء على ملة الصابئة كذا في ارشاد
القاصد لقوله تع وخاتم النبيين وقوله عم لا نبي بعدي فيه رد على
المتنبئين والدجالين ولذا قال مشايخنا ان ادعى احد النبوة بعد

نبينا لا يطلب منه معجزة بل يقابل بالتكذيب فان كانت له شبهة اعترته
كشفت فان تاب واسلم والا وجب تطهير الارض منه بالسيف
وافضل البشر بعد الانبياء هذا احسن من قول من قال بعد نبينا واوفق
لقوله عم فيما بعد ابو بكر الصديق الذي صدق النبي في النبوة
والمعراج من غير تردد لقوله عم ما طلعت الشمس ولا غربت على احد
بعد النبيين والمرسلين افضل من ابي بكر ثم عمر الفاروق الذي
فرق بين الحق والباطل في القضايا والخصومات لقوله عم لو كان بعدي
نبي لكان عمر بن الخطاب ولقوله عم في حق ابي بكر وعمر هما سيدا كهول
اهل الجنة ثم عثمان ذو النورين لان النبي عم زوجه بنته رقية اولا
ولما ماتت زوجه بنته ام كلثوم ولما ماتت قال عم لو كان عندي ثالثة
لزوجتكها ثم علي المرتضى ابن عم المصطفى زوج فاطمة الزهراء لقوله عم
لعلي انت اخي في الدنيا والآخرة ولقوله عم لا يحبك الا مؤمن
تقي ولا يبغضك الا منافق شقي بالاجماع اي هذا الترتيب ثابت
باجماع السلف وهو من علامات اهل السنة والجماعة كما ان تفضيل
الشيخين وحب الختنين والمسح على الخفين من علاماتهم رضوان الله
تع عليهم اجمعين فهم الخلفاء الراشدون لقوله عم اوصيكم بالسمع
والطاعة فانه من يعش منكم بعد فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وقد قال الله تع والسابقون
السابقون اولئك المقربون ولا شك من كان اسبق كان افضل

وخلافتهم على هذا الترتيب كذلك اي بالاجماع اى الخلافة بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر ثم لعمر ثم لعثمان ثم لعلى رضى الله عنهم
لان الصحابة اجتمعوا يوم توفى رسول الله واستقر رايهم بعد المشاورة
والمنازعة على خلافة ابى بكر واجمعوا على ذلك وبايعه على رضه على رؤس
الاشهاد فلو لم يكن الخلافة حقا له لما اتفقوا عليه ولنازعه على كما نازع
معاوية رضهما ولاحتج عليه لو كان فى حقه نص وكيف يتصور فى حق
اصحاب رسول الله الاتفاق على الباطل وترك العمل بالنص الوارد
ثم ان ابا بكر لما ايس من حياته دعا عثمان واملى عليه كتاب الخلافة
لعمر فلما كتب وختم الصحيفة اخرجها الى الناس وامرهم لان يبايعوا
لمن فيها فبايعوا حتى مرت بعلى فقال بايعنا لمن فيها وان كان عمر رضهم
فوقع الاجماع ثم استشهد عمر وترك الخلافة شورى بين عثمان وعلى
وعبد الرحمن بن عوف وطلحة وزبير وسعد بن ابى وقاص ثم فوض
الامر خمستهم الى عبد الرحمن ورضوا بحكمه فاختار هو عثمان وبايعه
بمحضر من الصحابة فبايعوه فصار اجماعا ثم استشهد عثمان وتركها
مهملا فاجمع كبار المهاجرين والانصار على خلافة على وبايعوه وهى
اى الخلافة ثلثون سنة وقد تمت بخلافة على رضه لانه استشهد
على رأس ثلثين سنة من وفات النبى عم كذا ذكره التفتازانى
فى شرحه للعقائد وفى رواية حماد استاد ابى حنيفة رح قال النبى عم
لسفينة رضه امسك خلافة ابى بكر سنتين وخلافة عمر عشرة وخلافة

عثمان

50

عثمان اثنتى عشرة وخلافة على ستا كذا فى المصابيح لقوله عم الخلافة بعدى
ثلثون سنة ثم تصير ملكا اى الخلافة المتوالية الكاملة التى لا يشوبها
ملك واماره ثلثون سنة فلا يشكل بخلافة معاوية رضه وخلافة الخلفاء
العباسية والمروانية ولا بقوله عم لا يزال الاسلام عزيزا الى اثنتى عشرة
خليفة المراد منهم الخلفاء الاربعة ومعاوية وابنه وعبد الملك واولاده
الاربعة وعمر بن عبد العزيز وكان الامر كما قال فان الاسلام لا يزل
عزيزا فى الازدياد فى ايامهم ثم اخذ الامر فى الاختلال لا كما زعمت الرافضية
ونشهد بالجنة للعشرة المبشرة اى جاز ان نحكم بطريق الشهادة بانهم اهل
الجنة قطعا لما ثبت ذلك بالنقل المتواتر فيكون كالمسموع منه عم
مشافهة وذلك يوجب العلم قطعا فجاز ان تؤتى بلفظ الشهادة لانها
عبارة عن علم العيان لتسميتهم اى لتعيينهم النبى عم باسمائهم فى التبشير
بالجنة حيث قال عم ابو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى
فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة
وسعد بن وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة وابو عبيدة بن الجراح
فى الجنة فاتفق اهل السنة والجماعة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم
ولا نشهد لاحد بعينه بالجنة اى لا يقال فلان بن فلان فى الجنة ولا بالنار
بغير نص لانه اخبار عن الغيب وهو لا تكون الا بطريق الوحى بعد النبى عم
ولا نكفر ولا نشرك ولا ننفق ما لم يظهر عنه ذلك او علامته كشد الزنار
ولبس قلنسوة الكفار بالاختيار ونحوها مما هو علامة التكذيب لانا امرنا

بالحكم بالظاهر لقوله عم نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وقال تعالى
يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولكن
يشهد بان المؤمنين حقا من اهل الجنة والكافرين حقا من اهل
النار لقوله تع ان المؤمنين في جنات وقوله ان الكافرين في نار
جهنم ويشهد لفاطمة والحسن والحسين بالجنة لما ورد في الحديث الصحيح
ان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة وان الحسن والحسين سيدا شباب
اهل الجنة ثم يرجى لازواجه وذريته وساير اصحابه من الخير والسعادة
اكثر مما يرجى لغيرهم من المؤمنين لانهم خيار الامة وكبار ائمة اهل السنة
والجماعة ولا يذكر احد منهم الا بخير اي يكف عن ذكر ازواجه وذريته
واصحابه الا بخير لما ورد من الاحاديث الصحيحة في مناقبهم ووجوب
الكف عن الطعن فيهم كقوله عم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق
مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه ولا يجوز الافراط في حب احد
منهم لانه يوجب الفساد كما في افراط النصارى في حب عيسى
حتى ادعى بعضهم فيه الالوهية وبعضهم الشركة وبعضهم النبوة والولدية
وكذا البعض في حب علي فيكون الافراط في حب احد غلوا وقد نهى
قال تع يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الاية ولا التبري من احد منهم
لانه غلو ايضا لقوله عم لعلي رضه يهلك فيك اثنان مبغض مفرط
ومحب مفرط ويجوز البغض لمن يبغضهم ممن ليس منهم ويذكر بغير الخير
اي يجوز البغض لمن يذكر احدا من اهل بيته او اصحابه بغير الخير ونظر

الغلو بالضم حد ودن
تجاوز ايتمك احترز

بغضه

بغضه لان بغضهم بغض الدين لانهم بذلوا مهجهم واموالهم حبا لله
ولرسوله ونصرة دينه لقوله عم في المنع عن الطعن في اهل بيته اذكركم
في اهل بيتي اذكركم في اهل بيتي اذكركم في اهل بيتي ثلث ولقوله عم
في التحذير عن الطعن لاصحابه الله الله في اصحابي الحديث لا تتخذوهم
غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله
فيوشك ان ياخذه وفي رواية كان الشارع ولي به والائمة المهديون
من التابعين ومن بعدهم من ائمة الدين والعلماء الصالحون كذلك
اي لا يذكرون الا بخير لان الله ندب الى الدعاء والاستغفار لهم
بقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا
انك رؤف رحيم لانهم ورثة الانبياء وخلفاؤهم في تبليغ
الشريعة الى الناس وسبب صلاح العقبى والدنيا خصوصا علماء
امة محمد صلى الله عليه وسلم اذ كل امة بعد مبعثه علماؤها اشرارها الا علماء
امته فانهم خيارها اذ بهم قام الكتاب والسنة وهم محيون شريعته
وما وقع بينهم اي بين الصحابة والتابعين والعلماء المجتهدين
من المنازعات والمحاربات فله محامل وتاويلات من جملتها جواز
كونها بطريق الاجتهاد في امور الدين وغاية امرهم الخطاء في الاجتهاد
من احد الجانبين والمجتهد قد يصيب وقد يخطئ خطاء لبعض

الاشعرية والمعتزلة وعلى كل حال اى سواء اصاب او خطأ فانه يثاب
في فعله لقوله عم ان اصبت فلك عشر حسنات وان اخطأت فلك
حسنة واذا كان كذلك فسبهم والطعن فيهم ان خالف الادلة القطعية
كقذف عائشة رضي الله عنها ونحوه مثل فكفر لانه تكذيب للنص الوارد
في عفتها والا فبدعة وفسق بل رفض والحاد لانه لا يكون الا عن تعصب
فلا يجوز الطعن واللعن على معاوية وامثاله رضه باجماع السلف اذ لم
ينقل عنهم ذلك ولقول علي رضه اخواننا بغوا علينا وليسوا كفرة
ولا فسقة لما لهم من التأويل فقيل هو شبهة ترك القصاص عن قتل
عثمان رضي الله عنه واما في ابنه يزيد وامثاله فقد اختلفوا في
جواز اللعن عليه بناء على اختلاف ان الظالم والفاسق اهل يستحق
اللعن ام لا وهذا مبني على نزاع آخر وهو ان من ارتكب صغيرة او كبيرة
هل يكون كافرا ام لا فعند الخوارج يكون كافرا وعند المعتزلة مرتكب
الكبيرة يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر فعند الخوارج والمعتزلة
يستحق اللعن واما عند اهل السنة يكون فاسقا لا كافرا فلا يستحق
اللعن لقوله عم لا تلعنوا اهل قبلتكم الحديث وهو من اهل القبلة
وما نقل من لعنه عم على بعض اهل القبلة فلما انه يعلم من احوال
الناس ما لا يعلم غيره والصحيح عدم الجواز بعد موته وعليه كبار ائمة
اهل السنة يؤيده قول الاوزجندي في قصيدته ولم يلعن يزيدا بعد
موت للتاكيد في عدم تجويز اللعن بعد موته لجواز انه غفر له عند موته

اللعن بيانه

بسبب

بسبب ندامة او توبة عرضت له مع انه مات على دين الاسلام
والمكثار كثير الكلام والاغواء الاغواء والغالي المجاوز عن الحد ثم تجب
على المسلمين نصب الامام هو يعم الخليفة والسلطان والملك والامير
وفيه اشارة الى انه لا يجب على الله كما زعمه البعض بل الواجب على
الخلق نصب الامام بالاجماع وهو اجماع الصحابة على نصب الامام
بعد وفات النبي عم حتى قدموه على دفنه وكذا بعد كل امام ولقوله
عم من مات ولم يعرف امام زمانه فقد مات ميتة جاهلية والمونة
توجب الحصول ولتوقف كثير من الواجبات عليه اى على الامام
وكل ما يتوقف عليه الواجب فهو واجب كتنفيذ الاحكام واقامة الحدود
وتجهيز الجيوش وسد الثغور ونحو ذلك كقهر المتغلبة والمتلصصة و
قطاع الطريق واقامة الجمع والاعياد وقطع المنازعات بين العباد
وقبول الشهادات القائمة على الحقوق وتزويج الصغار والصغاير
الذين لا اولياء لهم واخذ الصدقات وقسمة الغنائم ونحوها ولان
قوما اذا خلوا عن امام استحوذ عليهم الشيطان وفاش فيهم الفسوق
والعصيان فيتوجه الضرر ودفعه بقدر الامكان واجب بالاجماع
واما احتمال ازدياد الفساد بنصبه فاحتمال مرجوح وترك
الخير الكثير لاجل شر القليل شر كثير ويشترط ان يكون قرشيا
بخلاف بعض الروافض والخوارج لقوله عم الائمة من قريش
وهذا وان كان خبرا واحدا لكن لما رواه ابو بكر الصديق محتجا به على

الانصار

لم ينكره احد فصار مجموعا عليه لم يخالف فيه الخوارج وبعض المعتزلة
وان يكون من اهل الولاية المطلقة الكاملة اى مسلما حرا عاقلا بالغا
اذ ما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فلا يجوز غير المسلم وفي
والانوثة والصبا والجنون قصور عن تدبير الامور والتصرف في مصالح
الجمهور فلا يجوز ان لا يكون رجلا حرا عاقلا بالغا ويكون سايسا
اى مالكا للتصرف في امور المسلمين بقوة رايه ورويته ومعونة باسه
وشوكته قادرا بعلمه وعدله وكفايته وشجاعته على تنفيذ الاحكام وحفظ
حدود دار الاسلام وانصاف المظلوم من الظالم ونحوها من الامور
المعظمة لان الاخلال بذلك مما ذكر مخل بالغرض من نصبه ولا يشترط
عصمته ولا اختصاصه ببني هاشم واولاد علي لاتفاق الصحابة على
امامة ابي بكر وعمر وعثمان رضهم مع عدم القطع بعصمتهم ولم يكونوا
من بني هاشم وكانوا من قريش مطلقا ولا ان يكون افضل زمانه لان
المساوي بل المفضول ربما يكون اعرف لمصالح الامة ومفاسدها
واقدر على القيام بمواجبها خصوصا اذا كان نصب المفضول ادفع
للشر وابعد عن اثارة الفتنة ثم الامام لا ينعزل بالفسق الخروج
عن طاعة الله في بعض الامور والجور اى الظلم لعباد الله لان هذا
قد ظهر في الائمة بعد الخلفاء الراشدين وكان السلف من الصحابة
ومن بعدهم ينقادون لهم ويصلون خلفهم ويقيمون الجمع والاعياد
باذنهم ولا يرون الخروج عليهم ولان العصمة ليست بشرط ابتداء

وبقاؤه اولى فلا يجوز الخروج صرح به وان فهم مما سبق للتاكيد على
ائمتنا وولاة امورنا المتغلبين الذين لا تنعقد لهم بيعة من اهل
الحل والعقد وان جاروا باجماع السلف ولقوله عم من راى
اميره شيا يكرهه فليصبر فانه من فارق الجماعة فمات فميتة جاهلية
وفي رواية فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ولانه يترتب على الخروج
من المفاسد اضعاف ما يحصل من جورهم وقد يدفع الله تع بالملك
الظالم من الشر اكثر من ظلمه ولما في الصبر على ظلمهم كفارة الذنوب والا
والاستغفار والتوبة والرجوع الى الله كذلك فيما يسلط عليهم من العدو
ولهذا قد يمكن الله تع كثيرا من الملوك الظالمين مدة وقيل ستون سنة
بامام ظالم خير من ليلة واحدة بلا امام كذا في شرح عقايد الطحاوي
ولان الله تع ما سلطهم علينا الا لفساد اعمالنا كقوله تع فما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقوله وكذلك نولي بعض الظالمين
بعضا بما كانوا يكسبون فعلينا الصبر والاجتهاد في الاستغفار والتوبة
واصلاح العمل ولا يجوز نزع اليد من طاعتهم لان ذلك يفضي الى
نزع الكل عن الطاعة فيؤدي الى فساد عريض من كسر شوكة
المسلمين واطماع العدو فيهم كما وقع بخروج الطائفة الضالة الجلالية
اخزاهم الله عن طاعة سلطاننا نصره الله في تاريخ سنة ثلث عشرة
والف لان طاعتهم اى طاعة الائمة عن طاعة الله فريضة ما لم يامروا
بمعصية اى اذا دعوا الرعية الى طاعة الله فريضة عز وجل وما فيه

مصلحة العامة فطاعتهم فريضة واما ان دعوا الى معصية الله فلا طاعة
لقوله عم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق لقوله تع اطيعوا الله و
اطيعوا الرسول لانه واولي الامر منكم وانما لم يقل واطيعوا اولي
الامر لانهم لا يفردون بالطاعة بل يطاعون فيما هو طاعة الله
ورسوله واعاد الفعل مع الرسول لانه من يطع الرسول فقد
اطاع الله تع فان الرسول لا يامر بغير طاعة الله فلا يطاع الا فيما
هو طاعة الله ورسوله بل لا بد من الصبر والدعاء لهم بالصلاح
والمعافات لما في صلاحهم صلاح دين الرعية لانهم حملوا
الرعية الى اوامر الشرع فحازوا جزيل الثواب وجميل الذكر وفي
صلاح بدنهم قدرة على القيام بما حملوا من امانة الله فيما استرعا ه
واليه اشار بقوله لما فيه صلاح البرية ايضا لا الدعاء عليهم
لما فيه ضرر البرية لان في فساد حالهم فساد حال الخلق ولما كان
الحج والجهاد من شعاير دين الاسلام قد انكرهما بعض الضالة الحقا
بالعقايد ردا على المنكرين فقال والجهاد والحج وهما عبادتان
موضعهما الفقه ماضيان مع برهم وفاجرهم من ائمة المسلمين الى يوم
القيمة لقوله عم الجهاد واجب مع كل امير بر وفاجر عمل بالكباير ولكونهما
فرضان متعلقان بالسفر ولا بد من سايس يسوس الناس فيهما
ويقاوم العدو وهذا المعنى كما يحصل بالامام البر يحصل بالامام
الفاجر ايضا فيه رد على الرافضية حيث شرطوا العصمة للامام وقالوا

لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي الذي زعموه والصلوة واجبة
خلف كل من اهل القبلة برهم وفاجرهم من الولاة وغيرهم لقوله
عم صلوا خلف كل بر وفاجر وقوله عم الصلوة واجبة عليكم مع كل
مسلم بر وفاجر عمل بالكباير وعليه الاجماع لان علماء الامة كانوا يصلون
خلف الفسقة واهل الاهواء والبدع من غير نكير وما نقل المنع
خلف المبتدع محمول على الكراهة اذ لا كلام في كراهة الصلوة خلف
الفاسق والمبتدع وان جازت لم يؤدي الفسق والبدعة الى حد
الكفر اذ عنده لا كلام في عدم الجواز وكذا الصلوة عليه اي على كل من
مات من اهل القبلة من برهم وفاجرهم لقوله عم لا تدعوا الصلوة
على من مات من اهل القبلة لانا امرنا بالاستغفار لاهل القبلة
والصلوة على الميت استغفار وشفاعة له واما عدم الصلوة
على البغاة اذا قتلوا حال المحاربة فلانهم من اهل اللعن والصلوة
ضد اللعن ولحق بهم القطاع والساعي بالفساد وامثال هذه
المسائل وان كانت من فروع الفقه لكنها الحقت بالعقايد لان
بها يمتاز اهل السنة والجماعة عن غيرهم ممن خالف فيها كالمعتزلة
والشيعة والملاحدة والفلاسفة وغيرهم من اهل البدع والاهواء
وبالله العصمة والتوفيق **الروضة السادسة** الايمان باليوم
الاخر المراد ما بين النفختين وما بعدهما من البعث والحشر والنشر
والحساب الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه

اى الاوقات المحدودة وقيل من وقت الحشر الى مالاينتهى وانما
كان اليوم اسماً لزمان متسع جاز جعله ظرفا للكل واما وصفه بالآخر
اما لانه آخر الاوقات المحدودة اولانه آخر ايام الدنيا اذ فيه خراب
العالم بالنفخة الاولى فكان مابعدها لايعد من ايام الدنيا بل من
الآخرة ويقال له الواقعة لتحقق وقوعها والحاقة اى الحالة التى
تحقق وقوعها او التى تحقق فيها الامور اى تعرف حقيقتها والقارعة
اى الحالة التى تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتشار
ويوم الحشر ويوم الجمع لجمعه الناس والقيامة لقيام الناس من قبورهم
ويوم الحسرة لتحسر الناس المسيئ على اسائته والمحسن على قلة احسانه
والساعة لانه بالنسبة الى صلحاء المؤمنين مقدار اداء صلوة
مكتوبة يصلونها فى الدنيا واما بالنسبة الى الكافرين فهو يوم
كان مقداره خمسين الف سنة لشدة اهوالها ويوم الفصل
ويوم الميقات ويوم الميعاد ويوم الموعود ويوم الدين اى الجزاء
ويوم الخروج الى غير ذلك مما ورد به الكتاب والسنة وهو زمان
يقع فيه صيحة واحدة وهو النفخة الاولى المعبر عنها بالراجفة بغتة
اى فجاءة فيهلك من شدتها اهل السموات والارض جميعا الا من
شاء الله من مخلوقه فقيل جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل
وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل المراد مايعم ذلك فيموت بعد
اى يموت من استثنى بقوله الا من شاء الله بعد زمان مما بعد النفخة

الاولى لقوله تع ونفخ فى الصور عن ابن عمر قال رسول الله عم الصور
قرن ينفخ فيه قيل دايرة راسه كعرض السموات والارض وعن
ابى سعيد قال رسول الله عم كيف انعم وصاحب الصور قد التقم
واصغى سمعه وحنا جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ الحديث فصعق
اى فصعق عبر بالمضى لتحقق وقوعه من فى السموات ومن فى الارض
وقيل لهلاك اهل العالم الا من شاء الله اى بقاءه الى زمان
وقيل على عدم هلاك البعض بالنفخة الاولى وقوله تع واخذتهم
الساعة بغتة وهم لايشعرون لوقت مجيئها اوهم غافلون لاشتغالهم
بامور الدنيا فيبقى العالم خرابا مدة ماشاء الله مكثه خرابا ثم يهلك
كل ماسواه بامره تعالى وكونه لقوله تع كل شيء هالك الا وجهه
اى الا ذاته العلية والمراد بالهلاك خروج كل شيء عن صفته
المطلوبة وكونها بالنسبة الى البعض وزوال التاليف الذى به
يصلح الاجزاء لافعالها بالنسبة الى البعض اخر وذلك لايمنع
بقاء الاجزاء وعودها الى هيئتها الاولى فى آن او بعد زمان وفيه
اى فى ذلك الزمان يقع قوله لمن الملك اليوم ولما لم يوجد له
من يجيبه سواه اجاب هو بقوله لله الواحد القهار اى الذى يقهر
خلقه بالموت والفناء وباى وجه شاء ثم الحى الباقى وهو الله تعالى
يحيى الملائكة اولا على مااقتضت حكمته لا لحاجته اليهم ثم السماء
تنفطر اى تنشق لنزول الملائكة كقوله تعالى يوم تنشق السماء

بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما
على الكافرين عسيرا والشمس تتكور اي تلف وتلقى من فلكها ويذهب
بنورها وينخسف القمر اي ذهب ضوءها والنجوم تنتثر اي تنقض
وتساقط على الارض لقوله تع اذا السماء انفطرت وقوله اذا الشمس
كورت وقوله وخسف القمر وجمع الشمس والقمر اي في ذهاب
الضوء وقوله واذا الكواكب انتثرت وتتحرك الارض وتضطرب
اضطرابا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها وترفع الجبال عن اماكنها
بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة لقوله تع
واذا رجت الارض رجا اي حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم
ما فوقها من بناء او جبل وبست الجبال بسا اي فتت حتى
صارت كالسويق الملتت من بس السويق اذا لته او سيقت
وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء منبثا اي غبارا
منتشرا وقوله وحملت الجبال والارض وقوله يوم تمور السماء مورا
وتسير الجبال سيرا وقوله وسيرت الجبال فكانت سرابا الى غير ذلك
من الايات الدالة على فناء العالم وخرابه ثم ينادي اسرافيل بامر الله
تع يا ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان
الله تع يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء بحيث يصل نداؤه الى الكل على
السواء لقوله تع يوم ينادي المنادي من مكان قريب اي
الى السماء وهو صخرة المقدس فهي اقرب موضع من الارض الى السماء

فيتميز

فيتميز اجزاء الابدان من ارض اما بالجمع بعد التفريق او بالايجاد
بعد الاعدام فيه تصريح بان المعاد يكون جسمانيا كما هو مذهب
اهل الحق وفيه اشارة الى اختلاف بينهم في انه هل يكون بالجمع
بعد التفريق او بالايجاد بعد الاعدام لان السمع لم يعين واحدا
منهما على القطع ولذا اتى بالترديد ايماء الى ان كلا من الامرين
ممكن في نفسه وسياتي في ذلك زيادة بيان في البعث ان شاء
الله تع ثم يرسل الله مطرا فينبت الاجساد من الارض كما تنبت
النباتات لقوله عم ثم يرسل الله مطرا كالطل فينبت منه اجساد
الناس لقوله تع منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة
اخرى اي يوم القيمة بتاليف اجزائكم المتفرقة المختلطة بالتراب
على الصورة السابقة ورد الارواح اليها ثم ينفخ نفخة اخرى
المعبر عنها بالرادفة والطامة الكبرى فتنتشر الارواح على اجسادها
بحيث يصادف كل روح جسدها فتتعلق به تعلقا تاما كقوله تع
يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج فيقوم الخلق من
قبورهم لقوله تع ونفخ فيه اي في الصور اي نفخة اخرى وهي النفخة الثانية
فاذا هم قيام اي قائمون من قبورهم وموضع صدورهم ينظرون
اي ينتظرون ما يفعل بهم او يتقلبون ابصارهم الى الجوانب
كالمبهوتين وقوله تع يوم ينفخ في الصور فاذا هم من الاجداث
الى ربهم ينسلون وهذا هو يوم القيمة وهي قيام الناس من القبور

للحساب والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة وعليه اى على
تحققه اجماع الانبياء وورثتهم العلماء عقلا فان الايجاد ثم الاعدام
والحيوة ثم الموت لايكون عبثا بلا عاقبة ونقلا رواية متواترة
وكتابة متتابعة الى يومنا هذا وله اى ليوم الآخر اشراط اى علامات
كثيرة بعضها مر وبعضها سيأتي لايقوم اى لايقع يوم الآخر الا بعد
ظهورها ومن اظهرها بعثة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ختمت
به النبوة والشرايع في الدنيا وهذا من اكمل العلامات على انتهاء الدنيا
ورونقها منها اى من اشراط القيمة فيه اشارة الى كثرتها فانها على
ماذكر في كتب الاحاديث كثيرة وما ذكر منها ههنا فاقربها واغربها
خروج الدجال مأخوذ من الدجل وهو السحر والتمبير فانه ساحر
وسياح يقطع اكثر نواحي الارض في زمان قليل وهو شخص اعور
اى ممسوح احدى عينيه ولذا يسمى المسيح الدجال او لانه ممسوح عن
جميع الخير او لانه يسيح في جميع الارض الا الحرمين وكونه اعور يدل
على كذبه وسحره ولما قدر الله اضلال قوم به لم يجعله اعمى جفال
الشعر بضم الجيم اى شعره كثيرة مجتمعة معه جنة ونار اى في الظاهر
اما في الحقيقة فناره اى التي يقول انها نار جنة يعني من دخل ناره تكذيبا
له استحق الجنة بل وصل الى النعيم وجنته نار اى التي يقول انها جنة هي
نار اى من دخل جنته تصديقا له استحق النار بل وصل الى الجحيم لقوله عم
ان الدجال يخرج وان معه ماء ونارا فاما الذي يراه الناس ماء فنار

تحرق

تحرق واما الذي يراه الناس نارا فماء عذب طيب يركب على
حمار بين منكبيه واذنيه اربعون ذراعا اى في الجسامة يقول
اى الدجال للناس انا ربكم وسحرا وهو اعور مكتوب بين عينيه
كافر اشارة الى انه داع الى الكفر لا الى الرشد فاجتنبوه يقرؤه كل مؤمن
كاتب وغيره وهذه نعمة عظيمة في حق هذه الامة حيث اظهر الله رقم
الكفر بين عينيه بعد جعله اعور دلالة على كذبه يسيح الارض في اربعين
يوما يوم منها كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وساير ايامه على المعتاد الا
مكة ومدينة فانه لايدخلهما لان الله تع حرمهما عليه ويكون بابوابهما
ملائكة يحرسون وكان اكثر اتباعه اليهود وفي مسند احمد من حديث
جابر رضه انه عم قال يبعث معه شياطين تكلم الناس ومعه فتنة
عظيمة يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس ويقتل نفسا ثم يحييها
فيما يرى الناس فيقول يا ايها الناس هل يفعل هذا الا الرب فيفر
الناس الى جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيحاصرهم فيشتد حصارهم
ويجهدهم جهدا شديدا ثم ينزل عيسى عم فيأتي في السحر فيقول ايها
الناس ما يمنعكم ان تخرجوا الى هذا الكذاب الخبيث فينطلقون فاذا هم
بعيسى عم فتقام الصلوة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم
امامكم فليصل بكم فاذا صلوا صلوة الصبح خرجوا اليه فحين يراه الكذاب
ينماث اى يذوب كما ينماث الملح في فيقتله حتى ان الشجر والحجر ينادي
يا روح الله هذا يهودي فلا يترك ممن كان يتبعه احد الا قتله وفي

وفي الصحيح احاديث كثيرة بمعنى ذلك ومنها نزول عيسى
ابن مريم عم ويكون على شريعة نبينا عم ويقتل الدجال كما
مر ويمكث في الارض مدة ما شاء الله انما قال ذلك لانه في رواية
يمكث سبع سنين وفي رواية اربعين سنة ثم يموت ويصلي عليه
المسلمون ويدفنونه قال السيوطي رحمه في شرح نقايته روى
الطيالسي في مسنده حديث انا اولى الناس بعيسى بن مريم
فاذا رايتموه فاعرفوه بانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض
كان راسه يقطر ولم يصبه بلل وانه يكسر الصليب ويقتل
الخنزير ويفيض المال حتى يهلك الله في زمنه الملل كلها غير الاسلام
وحتى يهلك الله في زمانه المسيح الضالة الاعور الكذاب ويقع
الامنة في الارض حتى يرعى الاسد مع الابل والنمر مع البقر والذئاب
مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ولا تضرهم يبقى في الارض
اربعين سنة ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وفي
رواية انه يمكث سبع سنين فقيل الصواب ان المراد بالاربعين
في الرواية الاولى انها مدة مكثه قبل الرفع وبعده فانه رفع وله
ثلث وثلثون سنة ومنها خروج يأجوج ومأجوج اي من وراء السد
الذي بناه ذو القرنين وهما قبيلتان من اولاد يافث بن نوح
وهم تسعة اعشار بني ادم اي في الكثرة فانه لا يموت الرجل منهم
حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه يحملون السلاح واذا خرجوا منه

فيقاتلون

فيقاتلون الناس ويفسدون في الارض كقوله تع ان يأجوج
ومأجوج مفسدون في الارض ثم يهلكهم الله بدعاء عيسى عم
فيه اشارة الى ان الناس لا يقاومونهم في الحرب بل يتضرعون
الى الله تع فيقبل الله دعاء عيسى عم واصحابه ذكر في المصابيح
ان عيسى عم بعد قتله الدجال يأتيه قوم قد عصمهم الله تعالى
من الدجال فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة
فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى عم اني قد اخرجت عبادا
لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله
يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوائلهم على بحيرة
طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء
ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون
لقد قتلنا من في الارض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم
الى السماء فيرد الله نشابهم مخضوبة دما ويحصر نبي الله واصحابه
حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم
فيرغب عيسى عم واصحابه فيرسل الله عليهم النغف فيصبحون
فرسى كموت نفس واحدة الحديث اي يهلكون دفعة واحدة
ومنها اي من اشراط الساعة طلوع الشمس من المغرب لقوله عم
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت
ورآها الناس آمنوا اجمعون تاكيد للضمير في امنوا وذلك حين لا ينفع

نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا
هذا اقتباس من الحديث وهو من قوله تع يوم يأتي بعض ايات
ربك لا ينفع نفسا ايمانها الاية والمراد من الخيرية التوبة والاخلاص
فتنوينه للتعظيم اي لا ينفع تلك النفس ايمانها في قبول توبتها
اذ طلوع الشمس من مغربها من احكام الساعة وظهور الساعة
انقضاء التكليف فلا ينفع لانه ايمان اليأس وهو غير مقبول لانه
لا عن اختيار ولقوله عم ثلث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها
لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس
من مغربها والدجال ودابة الارض قيل عدم قبول الايمان
والتوبة في ذلك الوقت مخصوص بمن يشاهد طلوعها حتى
ان من ولد بعده او لم يشاهده يقبل كلاهما منه والاصح انه
غير مخصوص لما جاء في الحديث الصحيح ان التوبة لا تزال مقبولة
حتى تغلق بابها فاذا طلعت الشمس من مغربها اغلق ومنها
خروج دابة الارض لقوله تع واذا وقع القول عليهم اي اذا دنا
وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب اخرجنا
لهم دابة من الارض تكلمهم الاية روي انه عم سئل عن مخرجها فقال
عن اعظم المساجد حرمة الله يعني المسجد الحرام روي ان طولها
ستون ذراعا وان لها قوايم وزغبا وريشا وجناحين لا يفوتها
هارب ولا يدركها طالب وروي انه يكون معها عصى موسى وخاتم

سليمان عليهما السلام فتنكت بالعصا في مسجد المؤمنين نكتة
بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود
وجهه فيتميز المؤمنون من الكافرين به وآيتهما من امارات العلا متين
اي طلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة كانت قبل
صاحبتها فالاخرى تقع بعدها على اثرها قريبا هذا اقتباس من
قوله عم ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج
الدابة على الناس ضحى وايتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على
اثرها قريبا يعني ان اول الايات السماوية التي ليست مألوفة
طلوع الشمس من مغربها واول الايات الارضية التي ليست مألوفة
خروج دابة الارض فان شكلها غريب غير مألوف ثم يعيش
الناس في سعة ورفاهية بحيث انبتت الارض ثمرتها وردت
بركتها ويأكل جماعة من الرمانة ويستظلون بقشرها ويكفي لبن
ابل لاكثر من قبيلة ولبن بقر لقبيلة ولبن غنم لجماعة فبينما هم
كذلك اي في طيب عيش وسعة اذ بعث الله اي ارسل عليهم
فجاءة ريحا طيبة فيموت المؤمنون كلهم ويبقى شرار الناس فعليهم
تقوم الساعة هذا مأخوذ من قوله عم يبعث الله ريحا طيبة فتأخذ
تحت اباطهم فتقبض روح كل مؤمن ومسلم ويبقى شرار الناس
يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة اي كانوا يختلطون
كاختلاط الحمر يعني يجامعون النساء بحضرة الناس وفي حديث اخر

لايعرفون معروفا ولاينكرون منكرا فيتمثل الشيطان فيقول الاتستحيون
فيقولون فماتامرنا فيامرهم بعبادة الاوثان وهم في ذلك قد
دار رزقهم وحسن عيشهم ثم ينفخ في الصور الحديث وتنوب
دار الاخرة وتظهر احكامها من جزاء الاعمال وساير الاحوال
ومن مقدماتها اي الاخرة دار البرزخ وهي ما بعد الموت الى
قيام الساعة واحكامها وهي احوال القبر كالسؤال والتنعيم والعذاب
بعد الموت لم يقل في القبر لانها غير مختص به على ما سيصرح
وان نطق به الشارع بناء على الاكثر لاهلها اي لمن كان اهلا
لذلك فان الاخبار تواترت عن رسول الله في ثبوت عذاب
القبر ونعيم وسؤال الملكين لمن كان اهلا فيجب الاعتقاد بثبوت
ذلك الايمان به لقوله عم القبر روضة من رياض الجنة اي للمطيعين
او حفرة من حفر النيران اي للعاصين فكل من مات اهلا اي
مستحقا لشيء من احوال القبر ناله نصيبه منه سواء قبر او لا يقبر
او صلب ولم يدفن او غرق في الماء وسواء اكله حيوان او احرق
وكان رمادا او نسف في الهواء يصل الى روحه وبدنه ما يصل
الى المقبور وفيه تصريح بان احكام البرزخ لا تختص بالقبر والدار
ثلث دار الدنيا هي بالنسبة الى نوع الانسان الى قيام الساعة
وبالنسبة الى شخصه الى الموت ودار البرزخ هي ما بعد الموت
الى البعث ودار القرار هي بعد البعث الى الابد وتعلق الروح

بالبدن في كل دار على وجه مخصوص لان تعلقها بالبدن مطلقا
على خمسة انواع متغايرة الاحكام احدها تعلقها به في بطن الام
جنينا الثاني تعلقها به بعد خروجه الى وجه الارض الثالث تعلقها
به حالة النوم فلها تعلق به من وجه ومفارقة من وجه الرابع
تعلقها في البرزخ فان تعلقها به ليس كتعلقها في الدنيا فانها و
ان فارقته وتجردت عنه لكنها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى
لها اليه التفات بالكلية لما ورد في الحديث ردها وقت سلام
المسلم وورد انه يسمع خفق نعالهم حين يولون عن القبر
ونحوه وهذا الرد اعادة انه يسمع خاصة غير الاعادة المألوفة
في الدنيا لا توجب حياة البدن قبل القيمة كحياته في الدنيا
ولا نتكلم في كيفيته اذ ليس للعقل وقوف على ذلك في الدنيا
كما ان النار والنعيم ليسا من جنس نار الدنيا ونعيمها فان الله
تع يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى تكون اعظم من جمر الدنيا
ومع هذا لو مسها اهل الدنيا لم يحسوا بها بل العجب من هذا ان الرجلين
يدفنان في حفرة واحدة ويقع احدهما في حفرة من النار والاخر
في روضة من رياض الجنة لا يصل من هذا الى جاره شيء من حر
ناره ولا من هذا الى جاره شيء نعيمه وقدرة الله اوسع من ذلك
ولكن النفوس مولعة للتكذيب بما لم تحط به علما الا من شاء الله
من عباده اطلعه على ذلك وغيبه من غيره ولو اطلع على ذلك

جليين

عباده كلهم لزالت حكمة التكليف والايمان بالغيب ولما تدافن
الناس كما في الصحيح انه عم قال لولا ان تدافنوا لدعوت الله
ان يسمعكم من عذاب القبر ما اسمع ولما انتفت هذه الحكمة عن البهائم
تسمعه والخامس تعلقها به يوم القيمة واليه اشار بقوله واكمل
تعلقها يوم بعث الاجساد بحيث لا نسبة لما قبله من انواع التعلق
اليه اذ بعده اى بعد تعلقها بالبدن يوم البعث لا يقبل البدن
نوما ولا موتا ولا فسادا فجعل الله لكل دار احكاما تخصها ولما
ركب الانسان من البدن والروح في الدنيا فاحكام الدنيا
على البدن وانما الروح تبع له واذا تجردت الروح عن البدن
بالموت مع نوع اتصالها به كانت احكام البرزخ على الروح
وانما البدن تبع لها فالسؤال والنعيم والعذاب تكون للروح
والبدن جميعا باتفاق اهل السنة تنعم وتعذب منفردة عن
البدن متصلة ومتعلقة به تعلقا خاصا واذا كان يوم البعث
وقيام الناس من قبورهم صار حكم النعيم والعذاب وغيرهما من
احكام دار القرار على الروح والجسد جميعا لان تعلقها به تام
كامل كما مر وفي هذا اي في قوله ومن مقدماتها الى ههنا لمن
تامل تاملا كاملا حل اشكلات كثيرة في العقايد وبالله التوفيق وله
الحمد على التحقيق **الروضة السابعة** في الايمان بالبعث بعد الموت
وهو المعاد ومطلقا روحانيا كان او جسمانيا وعليه اجماع جميع الانبياء

كما

كما تقتضيه الحكمة فانه لولا البعث لكان خلق السموات والارض
عبثا اذ الايجاد ثم الاعدام والبناء ثم الهدم بلا عاقبة سفه والصانع
الذي ملأ كل شيء دلالة وحكمة متعال عن ان يكون صنعه سفها
لقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ثم في البعث
اقوال مختلفة اولها ثبوت المعاد الجسماني فقط وهو قول اكثر
المتكلمين النافين للنفس الناطقة والثاني ثبوت المعاد
الروحاني فقط وهو قول الفلاسفة الالهيين والثالث ثبوتهما
معا وهو قول اكثر المحققين كالحليمي والغزالي والراغب وابي زيد
الدبوسي وكثير من الصوفية فانهم قالوا الانسان بالحقيقة هو
النفس الناطقة وهي المكلف والمطيع والعاصي والمثاب والمعاقب
والبدن يجري مجرى الالة والنفس باقية بعد فساد البدن فاذا
اراد الله حشر الخلايق خلق لكل واحد من الارواح بدنا يتعلق به
ويتصرف فيه كما كان في الدنيا والرابع عدم ثبوت شيء منهما و
هذا قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين وبطلانه ظاهر والخامس
التوقف في هذه الاقسام وهو المنقول عن جالينوس فانه
قال لم يتبين لي ان النفس هل المزاج الذي ينعدم عند الموت
فيستحيل اعادتها او هي جوهر باق بعد فساد البدن فيمكن
المعاد وهذا ما قاله استاد استادنا الامام كمال باشا زاده نقلا عن
شرح المواقف للشريف في رسالته للمعاد الجسماني ثم قال فيه احتمالان

او ان احدهما القول بثبوت المعاد الروحانيّ والتوقف في المعاد
الجسماني وثانيهما العكس فالاقوال الممكنة في هذا المقام سبعة
لا خمسة كما توهمه الفاضل الشريف انتهى والحق المتفق عليه عند
اهل السنة والجماعة هو وقوع المعاد الجسمانيّ وهو المراد بقوله
وهو اعادة الابدان الاصلية بارواحها مطلقا اى سواء كان بالجمع
بعد التفريق او بالايجاد بعد الاعدام فيه اشارة الى الاختلاف
فيما بينهم قال بعضهم ان الاعادة تكون بتاليف الاجزاء المتفرقة
المختلطة بالتراب على الصور السابقة ورد الارواح اليها دفعة
واحدة كانت كالتولد او بالتدريج الخفيف كما ورد في الحديث
يرسل الله مطرا فينبت الاجساد وفي حديث آخر ليس من
الانسان شيء لا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ممنه
يركب الخلق يوم القيمة الحديث يؤيده قصة ابراهيم عم في احياء
الطير والحق ان كلا من الامرين في القولين صحيح ممكن في نفسه
وان لم يتعين السمع واحدا منهما على القطع كما مر فيما وعدناه هذا
وهو اى البعث المذكور ثابت عقلا ونقلا اما عقلا فانه اى البعث
ليس الا اعادة الهيئة الاولى للجسم بجميع عوارضه بعد التغيير
وتفرق الاجزاء واختلاطها بالتراب وبعضها بالبعض او بعد
انعدامها بالكلية فمن قدر على انشائها اول مرة فهو قادر
على اعادتها الى تلك الحالة ورد ارواحها اليها بالطريق الاولى

فانّ

فانّ ايجاد البدن وتعلق النفس به في اول الامر اعجب واغرب
من عودها اليه بعد المفارقة واما نقلا فقد جاء في القرآن اكثر مما
لا يقبل التاويل منه قوله ولقوله تع من يحيي العظام وهي رميم
وهي ما بلي من العظام فيه اشارة الى ان الاعادة بجميع الاجزاء
بعد تفرقها واختلاطها وفيه دليل على ان العظم ذو حيوة فيؤثر
فيه الموت كسائر الاعضاء قل يحييها الذي انشاها اول مرة فان
ايجاد شيء في اول الامر اصعب بالنسبة الى قدرة الخلق واما ايجاده
مع بقاء المادة على حالها في القابلية اللازمة لها فاسهل بالنسبة
الى الخلق واما عند الله تع فهما سواء لقوله وهو بكل خلق عليم
وقوله فسيقولون من يعيدنا اى الى حياتنا الاولى بعد كوننا عظاما
نخرة قل الذي فطركم اول مرة اى حيث لم تكونوا شيئا مذكورا
وقوله هو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اى امر الاعادة
اسهل عليه من الاصل بالقياس على اصولكم والا فهما سواء كما مر
وقوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان
يحيي الموتى وقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وقوله
قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل
شيء وقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وقوله افلا
يعلم اذا بعثر ما في القبور وقوله يخرجون من الاجداث كانهم
جراد منتشر وقوله ثم اذا دعاكم دعوة واحدة من الارض اذا انتم

تخرجون الى غير ذلك مما يدل على بعث الاجساد والابدان
من ايات القران والبعث لجزاء الاعمال لقوله تع انما تجزون
بما كنتم تعملون وقوله جزاء بما كانوا يعملون يوم الدين اى يوم الجزاء
لان الدنيا محل الابتلاء فلا تصلح ان تكون دار الجزاء والاخرة
محل الجزاء وهو الثواب والعقاب بالجنة والنار وهما مخلوقتان
بل خلق اهلهما موجودتان الان رد للمعتزلة والقدرية في زعمهما
انهما يخلقان الان بل ينشئهما الله يوم القيمة وزعمهما فاسد
لقصة ادم وحوى كقوله تع يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة
وكلا منها حيث شئتما رغدا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من
الظالمين ثم اكلهما منها واخرجهما واهباطهما الى الارض نص
على وجودها الان وقوله تع في الجنة سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة
عرضها السموات والارض اعدت للمتقين وقوله اعدت للذين
امنوا بالله ورسله وفي النار اتقوا النار التي اعدت للكافرين
والعدة هي المهيات الموجودة ولتواتر الاخبار عن النبي عم
منها قوله رايت الجنة ورايت النار وما اعد لاهلهما ولا
يفنى اهلهما اى هما دائمتان لا يطرء عليهما عدم مستمر لانهما خلقتا
للبقاء لا للفناء واما ما قيل انهما يهلكان ولو لحظة تحقيقا لقوله
تعالى كل شئ هالك الا وجهه فلا ينافي البقاء بهذا المعنى وقد
قيل ان المراد كل شئ مما كتب عليه الهلاك والفناء هالك

والجنة

والجنة والنار انما خلقتا للبقاء وكذلك العرش فانه سقف الجنة
او المراد ان كل ممكن فهو هالك في حد ذاته بمعنى ان الوجود
الامكاني بالنظر الى الوجود الواجبي بمنزلة العدم فبقاؤهما ليس
لذاتهما بل بابقاء الله لقوله تعالى في حق الفريقين خالدين فيها
ابدا ولان الايمان واجب على التابيد والكفر حرام على التابيد
فجزاؤهما كذلك اى على التابيد لقوله تع جزاء وفاقا وعلى ابديتهما
ودوامهما جمهور الائمة من السلف والخلف واما القول ببقاء الجنة
وفناء النار فقول بعض السلف والخلف واما القول بفنائهما
جميعا فقول جهم بن صفوان رئيس المعطلة وهو فاسد وليس في
ذلك له سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين ولا من ائمة
المسلمين من اهل السنة بل انكره عليه عامة اهل السنة وكفروه
به وقد قال تع فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وقال لهم
عذاب مقيم لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وقال فلن نزيدكم الا عذابا
خالدين فيها ابدا وما هم بمخرجين وما هم بخارجين عن النار الى غير ذلك
وفي الحديث يذبح الموت بين الجنة والنار ويقال يا اهل الجنة
خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت والادلة من السنة
على ابديتهما ودوامهما اكثر من ان تحصى وقبلهما اى قبل دخول
اهل الجنة الجنة واهل النار النار العرض والحساب لقوله تع وعرضوا
على ربك صفا وقوله يومئذ تعرضون اى للحساب شبههما بعرض السلطان

العسكر ليعرف احوالهم لا يخفى منكم خافية اى سريرة على الله حتى تكون العرض
للاطلاع وانما المراد به افشاء الحال والمبالغة فى العدل او لا يخفى
سرائركم على الناس وقراءة الكتاب اى كل شخص كتاب عمله
لقوله تع وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيمة
كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقوله
فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم وقوله ووضع الكتاب
فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها والحوض الذى اكرم الله نبينا به
يوم القيمة لقوله تع انا اعطيناك الكوثر قال السيوطى فى شرح نقايته
نقلا عن القرطبى رحمهما الله حوضان الاول قبل الصراط وقبل الميزان
على الاصح فان الناس يخرجون عطاشا فيردونه قبلهما والثانى
فى الجنة وكل منهما يسمى كوثرا ولقوله عم حوضى مسيرة شهر الحديث
تمامه ماؤه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم
السماء من شرب منه لم يظمأ بعده ابدا ويجوزه العقل الصحيح فان اغاثة
الله الكافة خليقته بجار الماء محمولا على متن الهواء فى السحب الثقال
فى هذه الدنيا امر معتاد فلم لا يجوز فى كربات الموقف والميزان
قال السيوطى وله كفتان يعرف به مقادير الاعمال بان توزن به
صحفها به فيه رد على المعتزلة فى زعمهم ان الاعمال اعراض ان امكن
اعادتها لم يمكن وزنها وقولهم انها معلومة لله فوزنها عبث قول

فاسد

فاسد فان لكل صنع له حكمة لا نطلع على اكثرها وعدم اطلاعنا لا يوجب
العبث لقوله تع ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس
شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
ثم قال روى الترمذى حديث يصاح برجل من امتى على رؤس الخلائق
وينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول
لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان
لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر
وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك
لا تظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ والصراط لقوله تع
وان منكم الا واردها ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
والمراد من الورود هو المرور على الصراط وورود النار لا يستلزم
دخولها والنجاة من الشر لا يستلزم حصوله وهو اى الصراط كما هو
فى حديث مسلم جسر ممدود على ظهر جهنم ادق من الشعر واحد
من السيف وفى الصحيح يضرب الصراط بين ظهرى جهنم ويمرون
المؤمنون عليه فاولهم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير واشد الرجال
حتى يجئ الرجل ولا يستطيع ان يسير الا زحفا وفى حافتيه كلاليب
معلقة مامورة باخذ من امرت باخذه فمخدوش ناج ومكدوش

اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا

فى النار فيه رد على المعتزلة فى زعمهم ان العبور عليه لا يمكن وان امكن
فهو تعذيب للمؤمنين وكل ذلك حق ممكن فى نفس الامر وان انكره
قاصر العقل الصحيح فانه معلوم بالنقل الصحيح ويجوزه العقل
الصحيح فان قضيات العقول ثلث واجب وممتنع وجائز كما مر
فى اوائل الكتاب فالواجب ذات الله تع والممتنع شريكه والولد
والمثل ونحوها مما يجب تنزيهه تع والجائز ما يكون تقدير وجوده
وعدمه فى العقل سواء وهو الممكن فسبيل العقل فيه التوقف
على ورود السمع فاذا اخبر به الصادق وورد الدليل القطعى وجب
الاعتقاد به ولزم تصديق الله ورسوله فيما اخبره مما من هذا القبيل
المعراج وعذاب القبر والبعث بعد الموت وحشر الاجساد ووزن
الاعمال والصراط والشفاعة والجنة والنار وما فيهما الى غير ذلك
والكيف مجهول لانه لا يمكن الاطلاع عليها فى هذه الدار فحكمها كحكم
غيرها من المغيبات نؤمن بها ولا نشتغل بكيفيتها والحق ان
من تامل بعقله الصحيح فى مسك السماء فى الهواء والسحاب
الثقال وعليه بحور الماء بين الارض والسماء بلا علاقة من فوق
ولا عمد من تحت يتيقن الحق بان الله قادر على امشاء العباد
على الصراط المذكور وعلى غيره مما ذكر الا من يضلل الله فما له من هاد
فوجب الايمان بكل ما جاء به الكتاب والسنة المتواترة والشفاعة
للانبياء فى العاصين من اممهم وشفاعة الاخيار من العلماء

والشهداء فى احبائهم العصاة من اهل الكبائر وغيره لقوله عم
ان امتى من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع
للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة ثابتة واقعة
باذن الله تع لقوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وهو دليل
على جواز الشفاعة وقوله تع واستغفر لهم وقوله واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات امر بالشفاعة وقوله عم شفاعتى لاهل
الكبائر من امتى وهى التى انكرتها الخوارج والمعتزلة جهلا منهم
بصحة الاحاديث وعنادا ممن علم بذلك وبناء على زعم المعتزلة
ان الكبيرة بغير التوبة لا يجوز عفوها وعلى زعم الخوارج ان مرتكبها
كافر وبطلان زعمهما ظاهر وقوله عم يشفع يوم القيمة ثلثة
الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء رواه الحافظ ابو يعلى
عن عثمان رضه والحاصل ان الاحاديث فى باب الشفاعة
متواترة المعنى فانكارها بدعة وضلالة والشفاعة انواع مبسوطة
فى كتب الاحاديث بينا بعضا منها فى كتابنا نور اليقين ويجوز
العفو عن الكبيرة مع التوبة وبدونها خلافا للمعتزلة اى التى هى
غير الكفر انما قيد به الكبيرة المطلقة هى الكفر اذ لا ذنب اكبر منه واختلف
العلماء فى الكبائر على اقوال مختلفة امثالها ما قيل ان الكبيرة
ما يترتب عليها حد فى الدنيا ووعيد بالنار او اللعنة او الغضب
فى الآخرة لقوله تع والله لا يغفر ان يشرك به باى نوع كان

من انواع الشرك والكفر لان مقتضى الحكمة التفرقة بين المسئ و
المحسن والكفر نهاية في الجناية لا يحتمل الاباحة ورفع الحرمة فلا يحتمل
العفو والمغفرة ويغفر ما دون ذلك اى ما دون الشرك والكفر
كبيرة او صغيرة لمن يشاء فانه مختار في فعله ويجوز العقاب على
الصغيرة سواء اجتنب مرتكبها الكبيرة ام لا لدخوله تحت قوله
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كما اشرنا وقوله لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها والاحصاء انما يكون للسؤال والمجازاة فيه
رد على بعض المعتزلة في زعمهم انه اذا اجتنب الكباير لم يجز تعذيبه
لدلالة قوله تع ان تجتنبوا الكباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
واجيب عنه بان الكبيرة المطلقة هى الكفر لانه الكامل في الذنب
وجمع الاثم بالنظر الى انواع الكفر وان كان الكل ملة واحدة في
الحكم او الى افراده القائمة بافراد المخاطبين على قاعدة ان مقابلة
الجمع بالجمع تقتضى انقسام الآحاد كقولك ركب القوم دوابهم
ولبسوا ثيابهم لقوله تع يغفر لمن يشاء بفضله ورحمته وشفاعة
الشافعين من اهل طاعته ويعذب لمن يشاء بعدله لانه يتصرف
في ملكه كيف يشاء والكبيرة اى التى هى غير الكفر لا تخرج العبد
المؤمن من الايمان لبقاء التصديق الذى هو حقيقة الايمان
خلافا للمعتزلة حيث زعموا ان مرتكب الكبيرة تخرج من
الايمان ولا يدخل في الكفر بناء على ان الاعمال عندهم جزء

عن

عن حقيقة الايمان وهذا هو اثبات المعتزلة بين المنزلتين كما
هو زعمهم الفاسد ولا يدخله في الكفر خلافا للخوارج حيث زعم بعضهم
ان كل ذنب كفر واشراك بالله وبعضهم ان الكباير كفر دون
الصغاير بغير علامة تكذيب كالاستحلال او الاستخفاف لقوله تع
يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وقوله وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الاية حيث اطلق المؤمن على
العاصى ولاجماع الامة على وجوب الصلوة على من مات من اهل
القبلة من غير توبة والدعاء والاستغفار لهم مع العلم بارتكابهم
الكباير بعد الاتفاق على ان ذلك لا يجوز لغير المؤمن واذا تقرر
ان المؤمن لا يخرج بالمعصية الكبيرة من الايمان فبالصغيرة بالطريق
الاولى فاهل الكباير من المؤمنين اى الذين ماتوا على الايمان
من غير التوبة فاذا ادخلوا في النار ليتمحص طيب ايمانهم من خبث
معاصيهم لا يخلدون في النار بل يخرجون منها بعد تعذيبهم
مدة تمحيصهم ثم يدخلون الجنة بفضل الله ورحمته لقوله تع فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقوله وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات فان نفس الايمان عمل خير لا يمكن ان يرى جزاؤه
بل دخول النار ثم يدخلها لانه باطل بالاجماع فتعين الخروج
عن النار ولان النبى عم اخبر انه يخرج من النار من كان في قلبه
مثقال ذرة من الايمان ولان الخلود في النار اعظم العقوبات

وقد جعل جزاء الكفر الذي هو اعظم الجنايات فلو جزي به غير
الكافر لزاد على قدر الجناية فلو لم يكن عدلاً واما قوله تع ومن يقتل
مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وقوله ومن يعص الله
ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وقوله ومن كسب سيئة
واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
فالمراد ان قاتل المؤمن لكونه مؤمنا لا يكون الا كافرا وكذا من
يتعدى جميع الحدود وكذا من احاطت به الخطيئة وشملته من
كل جانب لا يكون الا كافرا **الروضة الثامنة** في الايمان بالقدر
وتعلق الارادة الذاتية الالهية بالاشياء في اوقاتها الخاصة
فتعليق كل حال من احوال الاعيان بزمان معين وسبب
معين عبارة عن القدر واصله سر الله في خلقه وهو كونه اوجد
وافنى وافقر واغنى وامات واحيى واضل واهدى واعز واذل
واسعد واشقى وغير ذلك مما يشاء لم يطلع عليه اي على ذلك السر
ملك مقرب ولا نبي مرسل لانه الغيب استأثره الله بعلمه وجعله
سرا مكتوما من خلقه كقوله تع قل لا يعلم من في السموات والارض
الله الاية الا ما يشاء اظهاره من غيبه الى بعض رسله فيكون معجزة
وحجة على من ارسله اليهم كقوله فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول لان العلم علمان احدهما علم في الخلق موجود اي متحقق
ظاهر وهو علم الشريعة باصولها كالعلم بالصانع بما نصب في العالم

من دلائل وجوده ووحدانيته وكمال علمه وقدرته وحكمته وبرائته
من سمات الحدث والعلم بنبوة الانبياء بمعجزاتهم وبراهينهم والعلم
بالبعث بعد الموت بدلالة ذهاب الليل والنهار بعد وجودهما وعودهما دهما
بعد ذهابهما وتلاشيهما وبدلالة تعاقب النوم واليقظة فانه فيه دلالة
على انهم كما ينامون يموتون وكما يستيقظون يبعثون وكذا في تكرر
النبات والازهار في كل سنة وجودا وانعداما ثم عودا دلالة على
البعث ووقوعها كالعلم باحكام الثابتة بالكتب السماوية والا
خبار النبوية بنقل الجماعة فهذا كله موجود في الخلق والثاني
علم في الخلق مفقود اي مخفي مكتوم عن خلقه وهو علم القدر
والقضاء الذي طواه اي اخفاه وستره عن انامه ونهاهم عن
مرامه كعلم الساعة حيث قال لا يجليها لوقتها الا هو وقال
ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام
وما تدري نفس باي تموت والله عليم خبير الى غير ذلك وفي
المصابيح عن ابي هريرة رضه خرج علينا رسول الله ونحن
نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه فقال ابهذا امرتم
ام بهذا ارسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا
في هذا الامر عزمت عليكم عزمت عليكم ان لا تنازعوا فيه
فانكار العلم الموجود كفر وهو ظاهر وادعاء العلم المفقود
كفر لانه ادعاء المشاركة مع الله فيما استأثره فلا يثبت الايمان

الا بقبول العلم الموجود بالانقياد والتسليم وترك طلب العلم
المفقود بتفويضه الى عالمه فالتعمق وهو المبالغة فى طلب الشئ
فيه اى فى علم القدر ذريعة الخذلان وهو الحرمان عن شمول النصرة
والعناية بسبب الخلايق لان التعمق فى طلب الوقوف على
المكتوم بعد المعرفة بكونه مكتوما ينشئ عن الانكار والارتياب
وهو من صفات اهل النفاق والالحاد لانه اى التعمق موقد
الى المنازعة فى احكام الربوبية ولا شك فى انها ضلالة
وقد قال تع لا يسئل عما يفعل لكمال حكمته ورحمته وعدله لا لمجرد
قهره كما يقوله جهم واتباعه فالايمان بالقدر هو ان يؤمن العبد
بان لكل شئ من الخير والشر كالنفع والضر والحسن والقبح والطاعة
والعصيان والسعادة والشقاوة والحلو والمر كالحيات والموت
والداء والدواء والسرور والغم والغنى والفقر واللطف والقهر
الى غير ذلك من المتضادات والمتقابلات التى فى تخليقهما وجوه
من الحكمة منها الدلالة على كمال القدرة اذ القادر على
ايجاد الضدين موصوف بكمال القدرة الذى هو شرط الالوهية
وعلى انه ما اوجد الاشياء للانتفاع بها وعلى انه لا يتضرر بالاشرار
والعصاة ولا ينتفع بالاولياء والاخيار وعلى ظهور اثار اسمائه
القهرية كالقهار والمنتقم والعدل والضار والشديد العقاب
والسريع الحساب وعلى ظهور اثار اسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه

ومغفرته

ومغفرته وستره وتجاوزه وعتقه لمن يشاء من عبيده فلولا خلق
ما يكرهه من الاسباب المفضية الى ظهور اثار هذه الاسماء لتعطلت
هذه الحكم والفوايد وقد اشار النبى عم الى هذا بقوله لو لم تذنبوا لذهب
الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم وكذا ظهور اثار
اسماء الحكمة والخبرة فانه الحكيم الخبير الذى يضع الاشياء مواضعها اللايقة
بها التى يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته فلو قدر عدم الاسباب المكروهة
لتعطلت حكم كثيرة ولفاتت مصالح عديدة بل لو عطلت تلك الاسباب
لما فيها من الشر لتعطل الخير الذى هو اعظم من الشر الذى فيها وهذا
كالشمس والمطر والرياح التى فيها من المصالح ما هو اضعاف ما يحصل بها
من الشر ولما عطلت حصلت العبودية المتنوعة التى لولا خلق ابليس
لما حصلت فلو كان كلهم مؤمنين لتعطلت عبودية الجهاد وتوابعها
من الموالاة لله تع والمعاداة فيه وعبودية الامر بالمعروف والنهى
عن المنكر وعبودية الصبر ومخالفة الهوى وايثار محاب الله تع وعبودية
التوبة والاستغفار وعبودية الاستعاذة بالله ان يجيره من عدوه
ويعصمه من كيده الى غير ذلك من الحكم التى يعجز العقول عن ادراكها
فكل ذلك مقدور على العباد بقدر الله وقضائه قبل خلقهم لما سبق
علمه لكل كائن من خلقه فقدره بمشيئته وارادته فيه تصريح باثبات
ازلية علم الله وارادته فان المخلوقات على ما فيها من غرايب الحكم
لا يتصور ايجادها الا من عالم قد سبق علمه على ايجادها كقوله الا يعلم

من خلق وهو اللطيف الخبير وفيه رد على المعتزلة فيما زعموا ان الله
ليس بعالم في الازل ولا يعلم افعال العباد تعالى الله عما يقولون
علوا كبيرا التقدير الحكيم ما ليس فيه ناقص ولا معقب ولا مزيل
ولا مغير ولا ناقص ولا زايد من خلقه في سمواته وارضه لقوله تع
انا كل شئ خلقناه بقدر وقوله وخلق كل شئ فقدره تقديرا
اذ قد علم في الازل ان الاشياء تصير موجودة بايجاده لا وقاتها
اذ التقدير تحديد كل مخلوق بحده الذي يوجد فيه من حسن وقبح
ونفع وضر وما يحويه من زمان ومكان وما يترتب عليه من ثواب
او عقاب فالايمان بالقدر يتضمن الايمان بعلم الله القديم وقد
ضل في هذا الموضع طوائف من المشركين والصابئين والفلاسفة
وغيرهم ممن ينكر علم الله بالجزئيات وبغيرها فان ذلك كله يدخل
في التكذيب بالقدر واما قدرة الله على كل شئ فهو الذي يكذب
به القدرية جملتهم حيث اخرجوا افعال العباد عن قدرته وخلقه
واما القدر الذي دل عليه الكتاب والسنة والاجماع من انه تعالى
قدر مقادير العباد فقد جحده القدرية المختفة وهم الذين ذمهم
رسول الله واصحابه كما روى عن ابن عمر عن رسول الله انه قال
القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا
فلا تشهدوهم وعن حذيفة بن اليمان انه قال قال رسول الله عم
لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين قالوا لا قدر وفي رواية

داود عن ابن عمر عن النبي عم لا تجالسوا اهل القدر ولا تفاتحوهم
وصح عن ابن عباس انه قال القدر نظام التوحيد فمن وحد الله
وكذب بالقدر فقد نقض تكذيبه توحيده فالقدر يتضمن امورا
عظيمة احدها انه عالم بالامور قبل كونها فيثبت علمه القديم الثاني
انه يتضمن مقادير المخلوقات وهي صفاتها المعينة المختصة بها
فان الله جعل لكل شئ قدرا الثالث انه يتضمن اخباره بذلك
قبل وجود المخلوقات اخبارا متصلا فيقتضي انه يمكن ان يعلم
عباد الامور قبل وجودها علما مفصلا فانه اذا كان يعلم عباده
فكيف لا يعلم هو الرابع انه يتضمن انه مختار لما يفعله محدث له
بارادته ليس لازما لذاته الخامس ان يدل على حدوث المقدور
وانه كان بعد ان لم يكن وانه يقدره ثم يخلقه ولقوله عليه السلام
قدر الله مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين سنة
وعرشه على الماء رواه ابن عمر رضه فيه تصريح بان التقدير وقع
بعد خلق العرش واذا كان كل شئ بقدره فالسعيد سعيد
بقضاء الله وهو عبارة عن الحكم الالهي في اعيان الموجودات على ما
هي من احوال الجارية من الازل الى الابد والشقي كذلك اي شقي بقضاء
الله وقدره لقوله عم السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي
في بطن امه يعني من سعد في بطن امه لا يضره الكون الظاهر لان عاقبته
يكون بالايمان البتة لتعلق علم الله بايمانه ومن شقي في بطن امه

فيدل ذلك بطريق التنبيه على ان خالق
اوليٰ بعد العلم صح صح

لا ينفعه الايمان الظاهر لانه يكون في آخر عمره بتقدير الله الكفر عليه
قبل وجوده لقوله تع يهدي من يشاء ويضل من يشاء فالهداية
والضلالة بارادته وتقديره ومع هذا السعيد قد يشقى بان يرتد
بعد الايمان نعوذ بالله بقضائه وقدره فالله تع لا يقضي بشقاوة
احد الا بعد علمه بانه يخرج من الايمان الى الكفر فيقضي بما سبق علمه قبل
وجودهم ويطلع السرائر بعد وجودهم وبالعكس اي الشقي قد
يسعد بان يؤمن بعد الكفر كذلك بقضاء الله وقدره لقوله تع
يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب فانه يفعل ما
يشاء ويحكم ما يريد والتغير انما يكون على السعادة والشقاوة الذي
هو من صفات الله تع لان الاسعاد تكوين السعادة والاشقاء
تكوين الشقاوة ولا تغير على الله ولا على صفاته لما مر من ان القديم
لا يكون محلا للحوادث خلافا لما قاله بعض الاشاعرة لو جاز تبديل
السعادة والشقاوة لزم تبديل الصفات على الله وهو لا يجوز
ومنه اي من الايمان بالقدر الايمان باللوح لانه هو الذي كتب الله
فيه مقادير الخلق لقوله تع بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وقوله
عم ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحتاها من ياقوتة
حمراء قلمه نور وكتابه نور لله فيه كل يوم ستون وثلثمائة لحظة يخلق
ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فيحتمل
ان يكون هذا اللوح هو العرش او متصلا به لقوله عم ما من مخلوق

الا صورته تحت العرش والى هذا اشارة في حديث ابن عمر رضه والقلم
وهو الذي اقسم به الله في قوله ن والقلم وما يسطرون عند اكثر اهل
التفسير وهو الذي خلقه الله وكتب المقادير في اللوح المذكور لما روي
عن النبي عم انه قال لما خلق الله القلم قال له اكتب قال وما اكتب
يا رب فقال القدر ما كان وما هو كائن الى الابد وفي رواية مقادير
كل شيء حتى تقوم الساعة وهذا اول الاقلام وافضلها لان الاقلام
جاءت في الاحاديث على صيغة الجمع وعلم من الاحاديث ان الاقلام
اربعة اولها القلم العام الشامل لجميع المخلوقات وهو الذي تقدم
ذكره وثانيها حين خلق ادم عم وهو عام ايضا لبني آدم لما ورد
في هذا آثار تدل على ان الله قدر اعمال بني ادم وارزاقهم وآجالهم
وسعاداتهم وشقاواتهم عقيب خلق ابيهم والثالث حين يرسل
الملك الى الجنين في بطن امه فينفخ فيه الروح ويؤمر بكتب اربع
كلمات رزقه واجله وعمله وسعيدا او شقي والرابع القلم الموضوع
على العبد عند البلوغ في ايدي الكرام الكاتبين يكتبون ما يفعله
بنو آدم فالايمان بجميع ذلك ايمان بالقدر وبجميع ما فيه اي
في اللوح قد رقم اي بالقلم لقوله تع كل شيء احصيناه في امام
مبين قالوا هو اللوح المحفوظ فيتضمن الايمان به الايمان بجميع
ما كتب الله من الكتب السماوية وجميع ما يكون الى يوم القيمة له
وبالميثاق الذي اخذه الله من ذرية ادم عم لقوله تع واذ اخذ

ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم
الست بربكم قالوا بلى الاية ولما ورد في الاحاديث ايضا من
اخذ الذرية من صلب آدم وتميزهم الى اصحاب اليمين واصحاب الشمال
والاشهاد بالله ربهم ولكن السلف لم يتكلموا في كيفيته بعدهم
ذلك من المتشابهات فنعتقد بحقيقته لورود الكتاب ولا نشتغل
بكيفيته لتمكن وجوه الاحتمالات اي تاويلاته فعلم الله في الازل
عدد من يدخل الجنة بانهم يؤمنون ويطيعون عن اختيار وايثار
وعدد من يدخل النار بانهم يكفرون ويخالفون اوامر الله ونواهيه
بعد الوجود والعقل والبلوغ عن اختيار لا عن جبر واضطرار فلا
يزاد ولا ينقص في ذلك اعاد هذا وان علم مما سبق تاكيدا واهتماما
في باب الايمان بالقدر وبان افعال العباد كلها بخلق الله لا صنع
لهم فيها خلقا لقوله تع والله خلقكم وما تعملون وقوله والله خالق كل
شيء وان كانت الافعال الاختيارية التي يثابون بها ان كانت
طاعة ويعاقبون عليها ان كانت معصية بكسبهم حقيقة وتحقيقه
ان صرف العبد قدرته باختياره الى الفعل كسب وايجاد الله تعالى
الفعل عقيب ذلك خلق فالله تع خالق والعبد كاسب والمقدور
الواحد داخل تحت قدرتين لكن بجهتين مختلفين فالفعل مقدور
الله بجهة الخلق والايجاد ومقدور العبد بجهة الكسب والاختيار
لقوله تعالى ولا تبتئس بما كانوا يفعلون وقوله وما تفعلوا من خير

يعلم

يعلمه الله وقوله جزاء بما كانوا يعملون الى غير ذلك فالجزاء لا يكون
الا في الافعال الاختيارية وفيه رد على الجبرية حيث زعموا ان
لا فعل للعبد اصلا وان حركاته بمنزلة حركات الجمادات لا قدرة
له عليها ولا قصد ولا اختيار وبطلانه ظاهر لانا نفرق بالضرورة
بين حركة البطش وحركة الارتعاش ونعلم ان الاول باختياره
دون الثاني ولانه لو لم يكن للعبد فعل اصلا لما صح تكليفه ولا ترتب
على افعاله استحقاق الثواب والعقاب ولا اسناد الافعال التي
تقتضي سابقية القصد والاختيار اليه على سبيل الحقيقة مثل
صام وصلى وكتب بخلاف طال الغلام واسود لونه والحسن منها
اي من الافعال الاختيارية وهو ما لا يكون متعلقا للذم في
العاجل والعقاب والاجل لا برضائه لما عليه من المنع لقوله تع
والله لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر واعلم ان الاعمال
ثلثة فريضة وفضيلة ومعصية فالفريضة ما كان بامر الله و
ارادته ومحبته ورضائه وقضائه وتخليقه وحكمه وعلمه وتوفيقه
وكتابته في اللوح المحفوظ والفضيلة كذلك الا انه ليس بامره
والمعصية ما ليس بامره ولكن بمشيته لا بمحبته وبقضائه لا برضائه
وبتقديره وتخليقه لا بتوفيقه وبخذلانه وعلمه وكتابته في اللوح
المحفوظ فالارادة والمشية والتقدير والتخليق يتعلق بالكل
واما الرضاء والمحبة والامر والتوفيق فلا يتعلق الا بالحسن

والكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله منه نفع او ضرر باعتبار كونه
حسنا او قبيحا او طاعة او معصية لقوله تع لها اي للنفس نفع
ما كسبت من الخير وعليها اي على النفس ما كسبت من الشر ومناط
التكليف والكسب الاستطاعة فهي والقدرة والطاقة والوسع
الفاظ متقاربة الظاهرة يعني ان الاستطاعة ضربان احدهما الاستطاعة
الظاهرة وهي التي تكون من جهة الوسع والتمكين وصحة الاسباب
والآلات فهي متقدمة على الفعل تبقى الى الفعل اما بنفسها
عند من يقول ببقاء الاعراض واما بتجدد امثالها عند من
يقول ان الاعراض لا تبقى زمانين وهذه الاستطاعة تصلح للضدين
كالايمان والكفر والفعل والترك حتى ان القدرة المصروفة
الى الكفر هي بعينها تصرف الى الايمان لا اختلاف بينهما الا في التعلق
وهو لا يوجب الاختلاف في نفس القدرة وبها تتعلق الاحكام فانه
اداء الله مشروطة بهذه القدرة اذ لا يمكن التكليف قبلها لانه
يلزم تكليف العاجز عن الشيء لقوله تع لا يكلف الله نفسا الا وسعها
اي مقدورها واما قوله انبئوني باسماء هؤلاء فللتعجيز لا للتكليف
واما الاستطاعة الثانية الباطنة وهي التي يحدثها الله تع مقرونة بالفعل
لا قبله لانه يلزم ان يكون العبد مستغنيا عن الله تع وقت الحاجة وهو
خلاف قوله تع والله الغني وانتم الفقراء ولا بعده لان حصول الفعل
بلا طاقة واستطاعة محال فهي مع الفعل باتفاق اهل السنة والجماعة

وبها يظهر حقيقة العبودية لافتقار العبد الى الله في كل لمحة ولحظة
ولا يتعلق بها الاحكام لانها ليست في وسع العبد فانها باطنة
قبل وجودها معدومة وبعد وجودها حقيقية لا يقف العبد عليها ولا يبقى
زمانين فانها عرض فالقول بتعلق الاحكام بها بما ليس في وسع
العبد فقول المعتزلة والقدرية بتقدم هذه القدرة على الفعل قول
فاسد لانه قول باستغناء العبد عن الله تع وهو محال وفيه ايضا اهدار
احكام الشرع لان الامر ان ورد قبل وجود هذه القدرة يكون تكليفا
قبل وجود القدرة والقول به فاسد لانه تكليف العاجز وان ورد
حالة وجودها او بعد وجودها وهي عرض لا يبقى زمانين فيبقى الحكم
متعلقا بغير قدرة وهو وارد حيث لا قدرة وهو كالاول فيبقى
الحكم هدرا وهو فاسد لان الله تع ما شرع الاحكام للاهدار بل شرع
لتحقيقها وتسمى القدرة الباطنة في الطاعات توفيقا وهو جعل الله
فعل عباده موافقا لما يحبه ويرضاه وفي المعاصي خذلانا وهو ما مر
والاجل واحد لا كما زعم الكعبي من المعتزلة ان للمقتول اجلين القتل
والموت وانه لو لم يقتل لعاش الى اجله الذي هو الموت ولا كما زعمت
الفلاسفة ان للحيوان اجلا طبيعيا وهو وقت موته بتحلل رطوبته و
انطفاء حرارته الغريزيتين واجالا اخترامية بحسب الآفات والامراض
والموت قايم بالميت مخلوق الله تع لقوله خلق الموت والحياة لا صنع
للعبد فيه لا تخليقا ولا اكتسابا وفيه ان الموت وجودي والاكثرون

والمقتول ميت
والاكثرون على انه عدمي ومعنى خلق الموت قدره
باجله اي الوقت المقدر لموته لانه لو مات بغير اجله يؤدي الى اعجاز
الله تع او جهله وهو محال لا كما زعم بعض المعتزلة ان الله تع قطع عليه
الاجل والقتل فعل القاتل كسبا لا خلقا ولذا يستحق ذما وقصاصا
ودية وعقابا واثاما وورد في الاحاديث من ان بعض الطاعات
يزيد في العمر فلانه تع يعلم لو لم يفعل هذه الطاعة لكان عمره اربعين سنة
لكنه يعلم انه يفعلها ويكون عمره سبعين سنة فنسبت هذه الزيادة
الى تلك الطاعة بناء على علم الله والالم في المضروب عقيب الضرب
والانكسار عقيب الكسر والموت عقيب القتل كل ذلك مخلوق الله
لما مر من ان الخالق هو الله وحده وان كان بكسب العبد والرزق ما يسوقه
الله تعالى الى الحيوان فياكله لقوله تع وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها فيه رد على المعتزلة حيث فسروا الرزق تارة بمملوك ياكله
المالك وتارة بما لا يمنع من الانتفاع به وهو لا يكون الا حلالا فيلزم
ان لا يكون ما ياكله الدواب رزقا وان لا يضاف الرزق الى الله مع
انه معتبر في الرزق لان الله هو الرزاق وهو قد يكون حلالا وقد يكون
حراما واستحقاق العبد الاثم والعقاب على اكل الحرام انما لسوء
مباشرة اسبابه باختياره وكل يستوفي رزق نفسه المقدر له
حلالا كان او حراما لحصول التغذية بهما جميعا ولا يتصور ان
ياكل رزقه المقدر له انسان او حيوان غيره او ياكل هو رزق

غيره

غيره والضمان اذا اكل مال الغير بغير حق او اتلفه والعقاب
فيما يخالف امر الله انما وجب لارتكابه المنهي وهتكه نهي
الله تع ومخالفته باختياره وكل ذلك بقضاء الله وعلمه عند الله
لانه من علم الغيب ولا يعلمه الا الله فنؤمن بما فيه ولا نطلب سره
ونكذب من ينفيه اي من ينفي القدر وعلمه تع كالطوائف الضالة
ونقول اللهم يا ولي الاسلام واهله ثبتنا على الايمان حتى نلقاك
به وبالله العصمة عن الضلالة والغواية في البداية والنهاية
والتوفيق والهداية في الدراية والرواية وبيده ازمة التحقيق
والعناية في الافتتاح والغاية وله الحمد على الاختتام والتتمة
والصلوة على رسوله محمد هادي الامة وكاشف الغمة وعلى اله
وصحبه كبار التهمة وخيار الامة قد كان تسويد المتن في اواخر
رجب المرجب لسنة ست والف من الهجرة النبوية ثم تبييضه وتكميله
في غزوة فتح استرغون صانه الله عن نكبات المنون مع تشتت
البال وكثرة الاشتغال بالمشاورة والراي في اسباب الفتح
والظفر وتدبير احوال العسكر مع الوزير الكبير المظفر الغازي محمد
باشا يسره الله كل ما يشاء في اوايل جمادى الاولى لسنة اربع عشرة
والف وقد وقع الفراغ عن تسويد هذا الشرح بعد الفتح والفوز
في اوايل رجب المرجب للسنة المذبورة بقلعة ادسك ثم عن تبييضه واكماله
بعون الله تع وافضاله بقلعة اتجصار حميت عن طوارق الاعصار في
اواخر شهر شوال المكرم لسنة خمس عشرة والف
والحمد لله رب العالمين
وبه نستعين